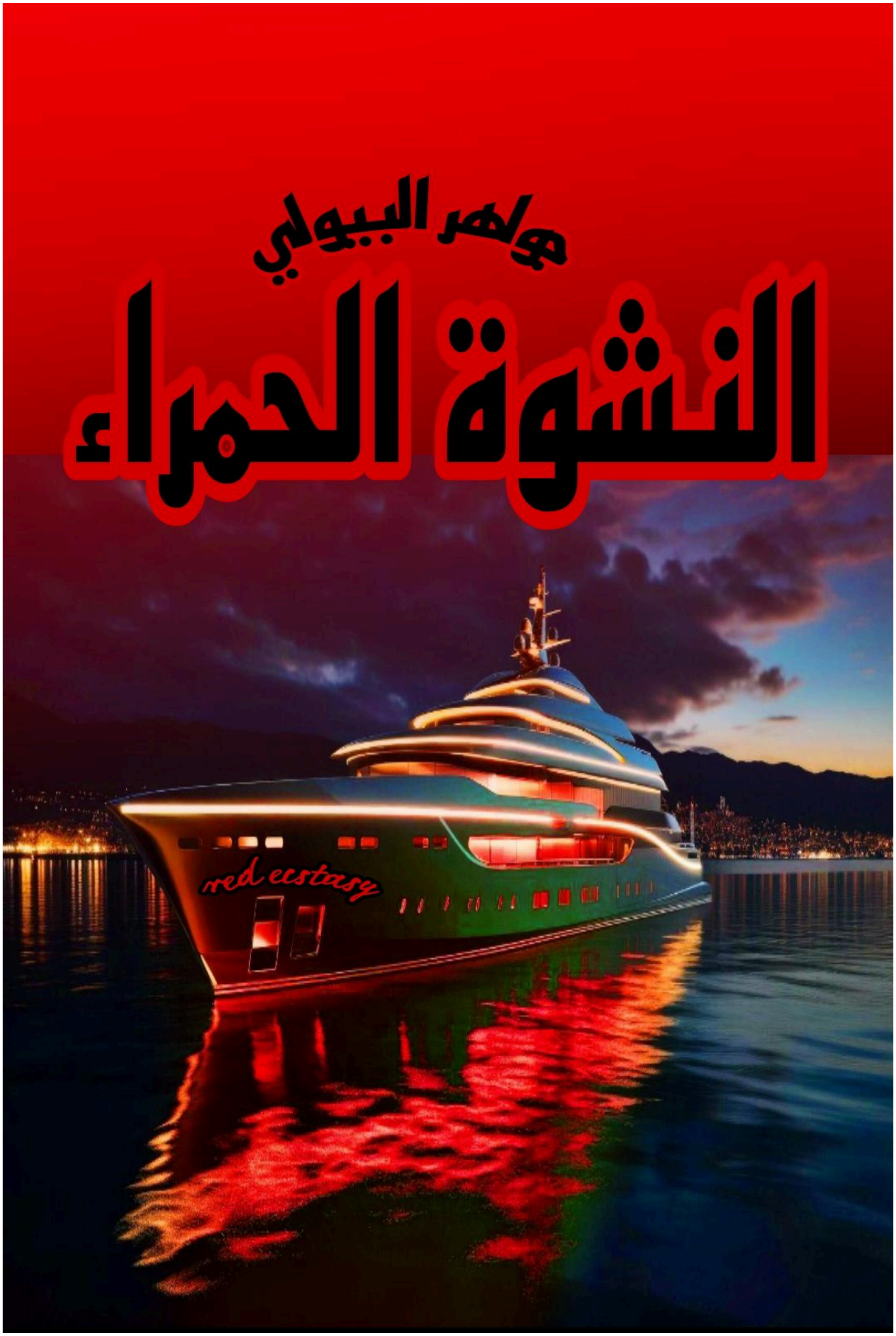
جواهر البيولي
النشوة الحمراء
red ecstasy

النشوة الحمراء

رواية

جواهر البيولي

(أنت)، أيها المار الغريب، شكرا لأنك كنت هنا يوما ما....

اهداء:

إلى روح العراب الدكتور أحمد خالد توفيق،
فلترقد روحك بسلام.

هل تثق في الآخرين؟

1

توفيت خالتي قبل أسبوع أو أسبوعين، لا أذكر متى بالضبط فالتفاصيل غير مهمة...

عقب وفاتها اتصل بي والدي يطلب مني أن أعود لأرض الوطن:

- **حان الوقت لكي ترجع وستكون شريكي في الشغل ستجني مالا لم تحلم به من قبل...**
- **لكني أريد أن أواصل الدراسة...**
- **ومن قال عكس هذا، ستواصل دراستك وتكون ساعدي الأيمن في الشغل وستصير رجلا...**
- **بالفعل أنا رجل...**
- **لا، بل آن الأوان لتصير رجلا مثل والدك.**

ثم انقطع الاتصال.

إن خلت أنه قد أتعب نفسه في مواساتي والترحم على خالتي فأنت مخطئ، فأنت لا تعرف والدي... عملي كالآلة، لن يضيع وقته في هذه التفاهات هو فقط يأمر والناس تنفذ وقد تعودت على هذا.

هنا أدركت أن بعد كل السنوات التي قضيتها متغربا في أحضان عاصمة الأنوار والعشاق مدينة برج إيفل وقوس النصر معشوقة كل الفنانين ذوي الحس المرهف وجهة كل فنان وكل عاشق وكل فيلسوف.

تلك المدينة التي كانت يوما منبعا للرومنطيقية...

باريس...

وعلى ألحان أغنية comment te dire adieu ل Françoise hardy

غادرت مدينة أحدب نوتردام نحو بلاد الطرزني لأحط لأول مرة بعد غياب طويل في مطار تونس قرطاج.
بلغة عربية عرجاء عدت إلى تونس حتى أعانق الواقع الكئيب الذي هجرته منذ أن كنت في السابعة من عمري.

بني مطير ومنزل المزرعة الذي لم يدخله أحد منذ ثمانية عشر عاما.
بني مطير ومنزل المزرعة... أين رأيتها آخر مرة...
بني مطير ومنزل المزرعة... أين رحلت دون أن تقول الوداع...
فكرة العودة إلى هناك لقضاء بعض الأيام قصد إراحة البال لم تكن بالفكرة السديدة، فقد قضيت سنوات عديدة وأنا أحاول طردها من مخيلتي لأنه ببساطة لم يبقى أي أحد لأزوره في منزل المزرعة ذاك بل بتلك الزيارة أحييت كل جراح الماضي التي لن تشفى، لكن دعني أعترف بأني كنت بحاجة للذهاب إلى هناك ومراجعة ذلك الفصل الذي اغبرت صفحاته وطوتها سنين النسيان .
ركبت سيارة اللواج التي ستقلني إلى العاصمة مع تلك الوجوه المدلهمة الكاشفة عن فقر الدم والشقاء والجوع والتي تحكي كل تجعيدة فيها عن قصة كفاح.
الحاج عبد الله ذو العمامة الملفوفة على رأسه اصطحبه ابنه من أجل موعد في مستشفى شارل نيكول.
امرأة تحمل حقيبة صنعت من جدائل الليف فيها خبز الطابونة والعظم العربي جلست في الخلف رفقة ولديها.
بينما حشرت أنا في المنتصف بين رجلين واحد منهما كان ضخم الجثة يميل بكتلته نحوي كلما اهتزت سيارة اللواج، ويا ليتني لم أجلس في المنتصف لأني عملت كقابض آخذ المال من هذا الراكب ومن ذاك حتى أناوله للسائق، ثم أرجع لهم بقية النقود.
حاولت أن أنام لعلي انسى مشقة الطريق لكن الأخ الذي كان جالسا بجانبي لم يتركني أنعم بغمضة عين واحدة فإذ رآني ألقي برأسي إلى الوراء وأغمض عيني يبادرني بالسؤال:

- **هل أنت من سكان بني مطير؟**

فأجيبه إجابة خلت أنها ستكون باترة لهذه المحادثة المملة:

- لا...
- عرفت هذا... فأنا لم أرك من قبل.

كان يتحدث كأنه يعرف كل متساكن في المنطقة، لكني لم أضف أي شيء لما قاله وغدى حلمي بالظفر بقسط من النوم أشبه بحلم الضمآن بالحصول على بعض الماء في قلب الصحراء، ثم سألني مجددا:

- إذا، أنت من العاصمة؟
- نعم...
- لكن لهجتك تدل على أنك من الخارج...
- نعم...
- هل ستستثمر في المنطقة؟ فهي مهمشة والشباب عاطل، والمعيشة غالية، لا يوجد ماء صالح للشراب، والكهرباء منقطع، والمدرسة آيلة للسقوط والحكومة غير مبالية... لا توجد أي مواطن شغل ولا نستطيع الزواج...

رمقته في تعجب فالأحمق يظن أني وزير التشغيل، ثم قلت:

- أنا متعب وأريد أن أنام.
- سامحني خويا.

ثم سكت.

تلك الرحلة التي دامت لبضع ساعات خلت أنها ستدوم إلى ما بعد الأبدية.

هبطت من سيارة اللواج أخيرا بعد أن أوشكت على أن أتقيأ أمعائي بسبب كل تلك الهزات في الطريق والرجل الثرثار الذي أبى أن يصمت وها أنا قد وصلت إلى العاصمة وبالتحديد باب سعدون.

سأشتري سيارة لعينة وأخلص نفسي من كل أتعاب النقل العمومي عن قريب.

باب سعدون أكثر منطقة مكتظة بالناس رأيتها إلى حد الآن رغم أن صديقي أحمد قال لي أن الحال أتعس بكثير في محطة باب عليوة.

حركة السير المضطربة كامل ساعات اليوم، محطة النقل البري للشمال وأصوات السيارات اللواج اللاتي يحملن لافتات لأماكن لم ازرها أو أسمع عنها من قبل،

بنزرت، باجة، الكريب، منزل بورقيبة، جندوبة، غار الدماء التي كان يصر السائق على مناداتها غار الدماو... ولن أزورها على أي حال.
كنت أرمق المكان في هول وذهول جعلني أكاد أسقط في بركة وحل، ما أكثر برك الوحل والحفر علي أن أنتبه أكثر.
بائع متجول يبيع مأكولات أجهل كنهها لكن المكون الرئيسي لها هو الذباب الذي احتشد فوقها حتى يغطيها بالكامل ومع ذلك فالناس يقتربون من العربة ويشترون من مزرعة البكتيريا تلك في لامبالاة تامة كأنهم قد توقفوا عن الاهتمام بالنظافة والصحة الغذائية وصار همهم الوحيد أن يجدوا ما يشبعوا جوعهم المقيت بأقل تكلفة ممكنة.
رباه كم أمقت باب سعدون.
شجار المسافرين على من أوقف سيارة الأجرة أولا، ثم تسمع سائق سيارة الأجرة يرميهم بشتيمة ثم حركة بذيئة باصبعه ثم يواصل رحلته تاركا اياهم غارقين في سباب اعجز عن قوله هنا لضوابط أخلاقية بينما يصرخ سائق أجرة آخر:
"ماكش في ثنيتي".
لهجات مختلفة، وجوه مختلفة، أهداف مختلفة، أحلام مختلفة...
طلبة، عمال، أفارقة، سياح، زوار من ولايات أخرى، نصابون، نشالون محترفون... كل هؤلاء اجتمعوا في مكان واحد.
عبرت الطريق الخلفية المحاذية لقضبان المترو فهي دائما أقل اكتضاضا، رائحة البول والبيرة كانت البصمة المميزة لهذا المكان رسوم غرافيتي تمثل القبح في ذاته، رسمت بأسوأ وأرخص أنواع السبراي تبا لفن الشارع الرخيص الذي جعل الذوق عام مبتذلا.
قضبان المترو المتداخلة شكلت لوحة تجريدية مرسومة بفرشاة رسام مغمور لن تسمع عنه ولن يشق طريقه نحو الشهرة ابدا، وبينما كنت أسير قطع ذلك الأفعوان الأخضر الأسطوري شوارع وسط المدينة مصدرا صفارات مدوية ليبشر كل المنتظربن بقدومه اخيرا.
في تلك المحطة ذو رائحة البول الكريهة التي تعودها الجميع لدرجة جعلتهم غير عابئين بها، ترى الناس الذين كانوا واقفين على كلا الجانبين يتلون الأدعية حتى

لا يتأخر عنهم ذلك المهيب المهدي المنتظر. ثم ترى بعضهم يركض ويتشاجر وبتقاذف بألفاظ بذيئة حتى يظفر بالدخول إلى المترو كمن يتكالب على الظفر بالفردوس الموعود يوم الحشر، هنا تسمع صوت السائق الذي يتكرر كل مرة "عبي الوسط، المترو يرفع الناس الكل، عبي الوسط.."
ثم تسمع نفس الصوت يقول ثانية:
"هاو جاي مترو آخر".
تصرخ امرأة ما بأن لصا قد سرق حقيبتها بينما كانت بصدد النزول من المترو ثم اختفى في علبة السردين تلك وسط اللحوم البشرية المتراصة والوجوه المتلاصقة ورائحة العرق والأنفاس العطنة، ثم تسمع فتاة لا تماثل الفتاة إلا تشريحيا تصرخ قائلة أن أحد الرجال قد حاول لمسها والتحرش بها لكن لا أحد يهتم... يا له من كابوس.
سوق باب سعدون والقطط التي تتشاجر أمام مدخل السوق.
لقد وصلت للكلية أخيرا.
هل هي في باب العسل؟
في الواقع لست متأكدا إن كانت كلية الفنون الجميلة هذه تقع تحديدا في باب سعدون أو باب العسل فكل الأبواب متماثلة.
الناس غرباء.
عندما تكون غريبا.
الوجوه قبيحة.
عندما تكون وحدك...
حمدا لله أني لم اعد وحيدا، وجدت صديقي أحمد في انتظاري أمام باب الكلية الحديدي كالعادة ولم نكن ننوي الدخول للدرس اليوم فقد انهكت تلك الرحلة الصباحية عقلي وجسدي على حد السواء، سحقا لن اتعود أبدا على نمط العيش هذا، فطلبت من أحمد أن نذهب للتسكع في أي مكان يريده على شرط ألا نركب أي مواصلة أخرى.
باب العسل...
والتلاميذ أمام المدرسة...

باب الخضراء... والباعة العشوائيون على أطراف الرصيف.
هذا يبيع كتبا وذاك يبيع ملابس مستعملة والآخر يبيع منتجات صينية لا تعمل...
أثناء سيرنا حدثت صديقي أحمد عن تلك الأيام التي قضيتها في منزل المزرعة وبني مطير التي لم أطأها منذ سن السابعة، ودعوته لمرافقتي إلى هناك في الزيارة القادمة حتى يتمتع بهدوء الطبيعة وجمالها ونقاء هوائها وقد راقت له الفكرة لأنه لم يزر بني مطير من قبل وقال:
- **سأحضر معدات الرسم وأرافقك، طبيعة كهذه ستكون مصدر إلهام لي.**

الباساج...
وجامع الفتح وبائع الكتب الدينية والمسبحات وقوارير العطر الصغير ذو رائحة المسك والعنبر.
إتجهنا نحو ذلك المحل الصغير في الركن وابتعنا سندويتشي ملفوف شاورما ووقفنا نقضم اللقيمات بينما كنت أشاهد مَن حولي وهم يأكلون على عجل، أو يمشون على عجل، أو يتحدثون على عجل...
هذا يأخذ حفنة من البطاطا المقلية ويغمسها في صلصة المايونيز ثم يملأ بها شدقيه دفعة واحدة بينما يقضم الآخر من السندويش قضمات كبيرة يبتلعها بسرعة جنونية.
شخص يمر أمام المحل وهو يصرخ في الهاتف، عشيقان يتشاجران، شبان من أفارقة جنوب الصحراء يتحدثون بفرنسية لا يجوز أن نقول إنها لغة فرنسية...
أما أنا فقد كنت آكل بتمهل مراقبا هذا المزيج الفولكلوري الغريب .
لافايات ومقهي the wood.
كان ذلك المقهى المفضل لصديقي أحمد وقد راق لي المكان أيضا منذ أول زيارة لما فيه من طابع غربي وحس غير نمطي في الديكور والزوار والعاملين...

أذكر جيدا أول مرة إقترب مني صديقي أحمد عارضا علي أن نصير أصدقاء بعد أن تهرب مني الجميع بحجة أني "مضروب في روحي" كان أحمد أول من ابتسم لي بابتسامة ودودة مرحبة وقال:

- جديد في الصف إذن؟
- وجديد في الجامعة أيضا.

فمد يده مصافحا إياي وقال في ترحاب:

- اعتبرني صديقك منذ هذه اللحظة.

وبالفعل قد صرنا أصدقاء من تلك اللحظة.

كان صديقي أحمد طالبا في المعهد الاعلى للفنون الجميلة وزميلا لي في نفس الصف، فقد كان أول طالب تحدثت إليه فور التحاقي بالصف كطالب جديد درس الفنون الجميلة في باريس ثم عاد لوطنه حتى يزاول عامه الأخير في ويتحصل على الإجازة.

لم يحكم علي أحمد مثلما فعل الجميع، بل أبدى انبهاره بي عندما سمع أني كنت أدرس الفنون الجميلة في باريس وبدأ يسألني عشرات الأسئلة عن الدراسة هناك ولوحات ديلاكروا والرسامين المفضلين لي ...

كان صديقي أحمد من أولئك الناس الذين ترتاح لهم من النظرة الأولى وهذا ما حدث لي معه، ربما بسبب ملامحه التي كانت مزيجا من الخجل والتواضع والذكاء، أو ربما لشهرته في المعهد فالجميع يشهد لكونه رساما محترفا معظم علاماته كانت جيد أو جيد جدا، يقدره الأساتذة والعاملين هناك، ولعلك ستدرك على الفور أن هذا النوع من الطلاب لا أصدقاء لديهم، فالكل كان يحسد أحمد على ذكائه الذي سيوصله لأعلى المراتب في يوم من الأيام، هو من سيحمل شعلة الفن في تونس بعد زبير التركي وعمار فرحات ونجيب بلخوجة.

كان دائما أنيق المظهر، وسيما، بملابس بسيطة لم تخلو من الاناقة وتسريحة شعره الكلاسيكية التي تتعارض مع كونه في الثانية والعشرين من عمره .

عكس أغلبية الطلبة لم يكن من هواة الفن المعاصر ولا الفن التجريدي ولا الباوهاوس بل كان يحب الفن الكلاسيكي الذي حفظ حقبه عن ظهر قلب وتاريخ الفن الذي يتحدث عنه لساعات دون أي ضجر، كنت أدخل معه في نقاشات ثقافية

عن كارافاجيو ورامبرانت ومن هو رائد فن الباروك بينهما، وكان أحمد الفائز في كل نقاش.
موسيقى الجاز منبعثة بصوت كتمه حديث الجاليسن في مقهى the wood في لافايات أين اعتاد أحمد أين يخط بعض الرسومات ويحتسي القهوة ويتحدث عن طموحه في زيارة متحف اللوفر يوما ما، بالطبع لم أخبره أني زرت متحف اللوفر مرات عديدة حتى صار الأمر مملا رتيبا خاليا من المفخرة فقد كان المتحف مكتظا بالصور لدرجة تمنعك من التدقيق في الزائرين أو مكتظا بالزائرين لدرجة تمنعك من التدقيق في اللوحات، مبتذل في كلتا الحالتين.
مئات الزائرين أمام معبودة الجماهير الجيوكاندا وبالطبع لم يطوفوا بها بدافع الفضول أو المعرفة، بل السبب الوحيد كان التقاط صورة معها حتى ينشروها في مواقع التواصل الاجتماعي مع هاشتاغ artlover#، هاشتاغ #الموناليزا.
عاد أحمد للتحدث عن تاريخ فن الباروك ثانية وكنت أعرف أنه من الصعب إسكات هذا الفتى لو كان الموضوع هو الباروك فهو غالبا ما يتحدث عن مواضيع لا تهم أي أحد.
فإن كنت طالب فنون جميلة فلن تجد حديث أحمد مسليا لأن هذه المواضيع تذكرك بالدراسة والدراسة والدراسة.
وإن كنت شخصا عاديا فلن يهمك تاريخ الفن أبدا، مثله كمثل معلومة تسمعها ولا علاقة لك بها لا أهمية ترجى منها ولن تعم عليك بأي فائدة، كنت أستمع لكلامه في ذهول ولسان حالي يقول:

- الفتى موسوعة متنقلة، على الأقل هو عكس الآخرين، ليس مجرد هاو وفنانه المفضل ليس فان ڤوخ.

حدثني عن العظيم كارافاجيو الذي أعطى الفن طابعا دراميا خاصا عن طريق الظلام وتركيز الضوء، لم يلقى الشهرة والاستحسان الذي ناله الآن إلا بعد قرنين من الزمن بسبب ميولاته الشاذة، أما رامبرانت فقد كان يمهد لمجده وشهرتة في أمستردام مقتديا بنخبة من الرسامين الايطاليين رغم كل الصعوبات النفسية والمشاكل الشخصية التي مر بها ولوحة جولة في الليل التي مثلت منعرجا

تراجيديا في مسيرته الفنية إلا أنه قد حضي بمكانة لا تقل على مكانة كارافاجيو في تلك الفترة.
وكنت أرد عليه بين الفينة والأخرى بعبارات مقتضبة "واو، عظيم، أها..."

كنت أرى أحمد كل صباح في انتظاري أمام بوابة الكلية، بملابسه الأنيقة ومعطفه الكشميري الأسود الطويل يحمل كوبا ورقيا من القهوة السادة، وبيده الأخرى حقيبته الجلدية التي يضع فيها دفترا للرسم وأقلام رصاص وأقلام فحم صغر حجمها من فرط بريها، ولوحة بيضاء عذراء سيبدأ بمداعبتها بفرشاته فور دخوله الفصل، بالإضافة إلى أربع فرش مختلفة الحجم وخمسة أنابيب ألوان زيتية أساسية، رغم أنه كان يميل للأكريليك أكثر من الألوان الزيتية، كان يكتفي بشراء الألوان الأساسية ثم يستخرج منها كل التدرجات اللازمة في الرسم إلى أن صارت هذه موهبته التي يتفرد بها عن الجميع في الفصل وهي خلط اللون مهما كان تدرجه ازرق سيان أو ازرق نيلي أو ازرق ملكي أو ازرق بترولي أو أزرق سماوي... فهو لن يفشل أبدا.

في ذلك اليوم كنا في المرسم منهمكين في رسم صورة ما موضوعها الفن التكعيبي وقد كان أحمد آنذاك منهمكا في تدرجات الأزرق التي يمزجها ولك أن تخمن أنه في هذه اللوحة سيستدل بالفترة الزرقاء لبيكاسو رائد الفن التكعيبي كمرجع فني.

لم يكن من أولئك الرسامين الذين يلطخون أصابعهم وملابسهم بالطلاء، بل لم يتعب نفسه ويلبس مئزرا فهو في كل الحالات يعرف أنه لن يبقع ملابسه بأي بقعة طلاء... عكسي أنا بالطبع.

كل الطلبة كانوا مشغولين في موضوع اللوحة التي يرسمونها فيخطون على ألواحهم بألوان مختلفة خطوطا غليظة بشعة ومكعبات أكثر غلظة وبشاعة إلى أن سألت زميلتنا هيفاء بصوت رغم كونه رقيق إلا أنه قد قطع صمت وهدوء القاعة:

- يا رفاق هل يملك احدكم اصفرا هنديا فأنا احتاج للقليل منه؟

لكن الجميع قد تجاهلها، إلا ذلك الوسيم صديقي أحمد الذي قال بنبرة هادئة بصوته الذكوري المميز:

- لحظة واحدة وسأخلط لك بعض الأصفر الهندي.

وفي غضون ثواني سكب بعض الاصفر والاسود والاحمر على اللوح الخاص بهيفاء وأخذ يمزج الألوان بكل تمعن فهو يعلم أن الصفرة يجب أن تتراوح بين

صفرة الموز وصفرة المانجو وصفرة الكركم، فالأصفر الهندي كان أحد الألوان التي يبرع في مزجها بسبب خبرته في الفن الكلاسيكي.
غير أنه سمع صوتا ساخرا قادما من ذلك الركن المعهود في المرسم، في الواقع كلنا قد سمعناه، كان صوت سمير المتعجرف المتحذلق ضخم الجثة وهو يقول بتنمر:

- بالطبع سيخلط لك الألوان فهو بالكاد يملك مالا ليشتري ألوانا غير الخمسة الأساسية.

وانفجر سمير بالضحك، ثم أضاف:

- هاي أحمد، أتمنى أن تبتاع فرشاة جديدة فمعدات الرسم خاصة في حالة رثة.

ثم واصل الضحك وتعالت معه قهقهات بعض الطلبة الذين لم يتمالكوا أنفسهم لغاية أن صاحت فيهم الاستاذة:

- الزموا الصمت بقي معكم اقل من ساعة .

فغرسوا رؤوسهم في محاملهم والتزموا الهدوء.
تجاهل احمد كعادته كل ماقاله ذلك الأحمق سمير فهو لم يرغب يوما في أن يدخل في شجار معه، أخذ اللوح الذي مزج عليه الأصفر الهندي وناوله لهيفاء دون أن ينبس ببنت شفة وأخذته هي الاخرى دون أن تعلق على ما قيل لكنه لمح مزيجا من الشفقة والاسف في عينيها اللامعتين وهمست هيفاء بصوت شبه مسموع:

- شكرا يا أحمد.

خبرتي البسيطة في الحياة تجعلني أدرك أن هيفاء تكن له بعض مشاعر الحب أو الإعجاب.
ربما كان هو الآخر يبادلها نفس المشاعر لكنه لم يصارحها قط .
كانت هيفاء الأجمل في الكلية كلها، شيء في جمالها الهادئ يذكرني بوالدتي نادية التي فرقني القدرعنها منذ سنين...
لو كنت سأقوم بوصف هيفاء فسأختزل عناء الوصف بعبارة واحدة "لوحة ولادة فينوس" ل بوتيتشيلي.

فتاة بصدر ثائر الأنوثة ناصعة البياض ذو قوام ممشوق بشعر برتقالي مموج طويل، ووجه كساه النمش، من عائلة ثرية معروفة في سيدي بوسعيد لديها سيارتها الخاصة، دائما تلبس ملابس بألوان باستيل فاتحة، طفولية الابتسامة، هادئة الطبع حالمة عاشقة للفن الكلاسيكي ودودة مع الجميع، وكل الاولاد والأساتذة في الكلية واقعون في حبها.
أما هي فكانت واقعة في حب أحمد.
لكن دعني أؤكد لك أنه لن يتجرأ على الإقتراب منها.
لم يكن لي أصدقاء غير أحمد ولم يكن لأحمد اصدقاء غيري لأنه ببساطة لم يكن اجتماعيا بما فيه الكفاية لكي يلهو ويرتاد المقاهي والملاهي والمطاعم مع شباب الكلية وينفق ماله في كل المحرمات التي يرتكبها شباب هذه الأيام، الكثير من الفتيات يجدنه جذابا ووسيما ومثقفا ينطبق عليه مصطلح "dark academia" لكنه لم يفاتحني يوما في أمر علاقاته، أظن أنه معجب بهيفاء مثل الجميع، لكنه لن يتجرأ على البوح بمشاعره لها، فالفرق الاجتماعي واضح وهو بالطبع لا يريد أن يصير أضحوكة في الفصل في سنة تخرجه.
ناهيك عن أنه لا يرغب في أن يضيع وقته في تلك التفاصيل الرومانسية المملة التي يعتبرها العشاق طقسا من طقوس الحب كالجلوس إلى البحر ومشاهدة الغروب والبكاء على أغنية "ايد شيرن" أو "آديل"، أو شراء حلوى غزل البنات وبعض المكسرات والتجول على ضفاف البحيرة.
أو ربما عشق الفن لدرجة الزهد فيه ومواعدته لأي فتاة تعتبر بمثابة خيانة للفن، لا أعلم لماذا يفكر الفنانون بهذه الطريقة الشاذة...
لكن من يأبه لهذا.
لم أهتم يوما بالفارق الاجتماعي الذي بيني وبين صديقي أحمد، لم آبه بارتدائه لساعة يد غير أصلية أو شراءه لمالابسه من سوق الملابس المستعملة بل كل ما رأيته في ذلك الفتى هو المعنى الحقيقي للصداقة ومع مرور الأيام صرت أنا الوحيد في الكلية الذي يجالسه أحمد ويسارره ويطلعه على كل تفاصيل حياته الكبيرة منها والصغيرة.

أخبرني أن لديه أخا يصغره بسبع سنوات واسمه... اسمه... نسيت إسمه على أية حال.
أخبرني أن والده هجرهم منذ سنوات وهو بالكاد يذكر ملامحه، فهم لا يعرفون إن كان حيا أو ميتا منذ أن سافر لإيطاليا بطريقة غير شرعية لم يسمع عنه أي خبر البتة.
بحثت أمه في كل مكان عن خيط يقودها إلى زوجها المفقود، أو حتى جثته، قدمت عشرات البلاغات في السفارة إلى أن فقدت الأمل.
أخبرني أن أمه تعمل في القطاع العمومي منذ أكثر من عشرين سنة ربما في بلدية ما أو في مكتب بريد ما، أو ربما في قباضة مالية ما في باب الأقواس لكن لا أذكر أين بالتحديد فكلها مشابهة لبعضها لن تسمع فيها سوى عبارة واحدة "ارجع غدوة".
أخبرني أنها قد شخصت بسرطان الثدي مؤخرا وستبدأ العلاج الكيماوي عن قريب.
وأخبرني أيضا أنه يبحث عن عمل بنصف دوام بعد الدراسة قصد كسب بعض المال من أجل توفير مستحقاته، فذلك المرض اللعين أنهك كاهلهم المادي وهو يجب أن يتخرج هذه السنة بأي طريقة، بعدها سيبحث عن وظيفة عمومية في مدرسة أو معهد ما وقد كان يردد في مثل هذه النقاشات:

- **آه، لو كنت مكانك لما عدت من فرنسا، فالحياة هنا صارت صعبة.**

أما أنا... فلم أجرأ على اخباره أي شيء عن نفسي أو عائلتي او أحلامي وطموحاتي أو سبب عودتي، اكتفيت فقط بالاستماع، والإجابة عن كل أسئلته بسطحية.

عزمني صديقي أحمد على الغداء في منزله ذات ظهيرة بعد صبيحة قضيناها في الكلية نناقش موضوع التخرج، كان أحمد يسكن في أحد الأزقة في المدينة العربي نهج الكبدة في باب سويقة، منزلهم كان متواضعا تقليديا مثل أي منزل في أي زقاق في المدينة العربي تفوح منه رائحة الأصالة التي تذكرك بالمسلسلات الرمضانية، يعبق بعطر الذكريات التونسية الحبيبة، وقد كان الجو عائليا دافئا، انبعث صوت المذياع الذي يبث أغاني للهادي الجويني وعلي الرياحي من المطبخ بينما كانت رائحة الكسكسي بلحم العلوش والفلفل المقلي تفوح لتغمر كامل المنزل كأنه عرس تونسي تقليدي.

كل قطعة المنزل كانت عتيقة تحمل في جعبتها تاريخ حارة كامل، وكان جليز الصالة من السيراميك المطلي بطلاء زجاجي مزخرفا بنقوش تأسر القلب مررت عليه يدي وأخت اتحسس جمال هذه القطع الزخرفية الفريدة من نوعها. على الحائط على هناك مرفع خشبي ذو طابع أندلسي عليه بعض الصور العائلية ثم تأملت المرآة ذو الإطار الذهبي والعلجية الموضوعة تحتها مباشرة والساعة الحائطية ذو الخشب المطلي والنواس، فونوغراف قديم موضوع في الركن، وكليم مخطط يدوي الصنع مفروش على الأرضية.

كان أحمد يتحرك بين غرفة الصالة والمطبخ ويسأل أمه بينما يسرق قطعة بطاطا مقلية من الصحن كالأطفال الصغار:

- **أمي هل أعددت كل شيء؟ أمي الفطور جاهز؟ أمي هل ابدأ بإعداد الطاولة؟ أمي...**

تلك الكلمة التي حرمت من نطقها منذ سنين.

والدة أحمد اسمها حليمة كانت امرأة طيبة وقد رحبت بي أفضل ترحيب، طبخت لي الكسكسي المحبب لقلبي والشاي الأحمر اللذيذ مع الفواكه الجافة، فقد كانت تصر على أني مشتاق للمأكولات التونسية الأصلية، وكل هذه العادات والتقاليد:

- **راك متوحش البلاد...**

ثم راحت تسألني عدة أسئلة نمطية عن الدراسة والعائلة والغربة في عينيها لون من الأسى الذي يخبرك أنها تفتقد زوجها الذي مازلت صورة معلقة على الجدار إلى الآن.

أما أخاه فقد كان كأغلب المراهقين في أيامنا هذه، قليل الكلام وإن تحدث عبر عن رغبته في السفر خارج البلاد من أجل صناعة مستقبله، إن لم يتزوج من أجنبية فيسافر بطريقة غير شرعية... الحرقة، الموضة الجديدة في البلاد. كان يلعب لعبة ال free fire على الهاتف ويستمع لموسيقى الراب، كل شيء في هذا الفتى يدل على أنه عكس أحمد.

بعد الفطور توجهت مع أحمد إلى غرفته أين أحضرت لنا والدته القهوة التركية التي تعبق برائحة الهيل وماء الزهر وصحنا من الحلويات التي أعدتها بنفسها.

غرفته كانت بسيطة جدا كلها لفائف أوراق رسم، كتب عن مختلف الفنون، ولوحات.

جلست أتأمل الجدران التي كستها اللوحات التي رسمها أحمد، كان بارعا في رسم البورتريهات بالفحم والباستيل وأقلام الرصاص، والألوان الزيتية والأمريليك والأكواريل والفيزان... ببساطة لقد برع في أنماط الرسم.

دخان لفافة التبغ يتصاعد ليصنع خيوطا ضبابية متصاعدة لتملأ هواء الغرفة.

بالطبع أحمد لا يدخن، بل أنا الذي كنت أنفث الدخان كمخلوق أسطوري في قصة يابانية ما بينما أرشف بعضا من القهوة حتى أعكس صورة ذلك الفنان ذو الطابع التأثيري العميق.

على المحمل المنتصب في منتصف الغرفة قبعت لوحة ملحمية متوسطة الحجم شبيهة بلوحات الفنان الإيطالي روبيرتو فيري، رسمت بالأكريليك بنمط كارافاجيستي في منتصفها رجل قوي البنيان مفتول العضلات له جناحان كأنه ملاك من أسطورة رومانية أو اغريقية، عاري إلا من قطعة قماش بيضاء ملفوفة حول خصره، مقيد بسلاسل حديدية غليضة، يصرخ محاولا الخلاص بينما ينظر إلى أعلى، رغم كون اللوحة غير مكتملة إلا أنها قد جذبت انتباهي بشكل غريب فتأملتها لدقائق وأنا أفكر: أحمد يسرق الأضواء بلوحاته مثل كل مرة، أسلوبه الفني المميز الذي جعله يكتسب سمعة مرموقة بين الأساتذة والطلبة، أحمد يتمرد على كل الأنماط التي ندرسها في الكلية "كلود مونيه فعل بالفن ما فعله آرثر رامبو بالشعر عندما تمرد على البنية القصائدية.

خبرته المحنكة في الفن جعلت هيفاء تقع في حبه... أحمد يريد أن ينافس ملهمه كارافاجيو وها قد نجح في ذلك، أحمد سيأسس مدرسته الفنية الخاصة، أحمد سيكون مرجعا فنيا هاما في أحد الأيام... ثم قلت بعد أن غرقت في كل تلك الأفكار:

- لوحة جميلة أنا متشوق لرؤيتها مكتملة.
- الفن لا يكتمل أبدا، نحن فقط نهجره.

وكنت أعلم أن دافنشي صاحب تلك المقولة التي قالها أحمد للتو.

- هل ستكون هذه اللوحة ضمن مجموعة لوحات التخرج؟
- لا... هذه قطعتي الفنية الخاصة، سأحتفظ بها لنفسي.
- لماذا؟ ستظلم هذه اللوحة إن لم تعرضها في التخرج.
- الناس لن يفهموا هذه اللوحة، فالذوق الفني قد تداعى وأصبح سوقيا، أحببت أو كرهت لن تكتسب قيمة في الساحة فنية التونسية إن لم ترسم صورا لمدينة سيدي بوسعيد أو وجوه الحياة الريفية البسيطة... لن تكون لك مكانة إلا اذا كنت من رسامي البلاط...

بالفعل هو على حق، يا له من أمر مخزي أن يتحول الفن من وسيلة إلى التعبير عن اختلاجات الروح إلى مدعاة ترويجية للسوقية.

ما العمق في لوحات سيدي بوسعيد تلك؟

ما الإضافة التي أضافتها هذه اللوحات إلى انجيل الفن؟

ما قيمتها الفنية؟ ما دلالتها التاريخية؟

لما تصلح؟

بماذا تفيد؟

سحقا أحمد دائما على صواب...

حتى جهبذ الأساتذة في الكلية لن يعير لوحة أحمد أي اهتمام...

قضمت قضمة من قطعة البسكويت بينما ناقشنا حينها موضوع العمل الذي كان أحمد يبحث عنه فهو عازم على شراء معدات للرسم قبل الامتحان النهائي، كانت أمنياته بريئة وبسيطة، فهذا الفتى يسعد لو أهديت له علبة أقلام أو دفتر تصوير، أو مجموعة ألوان زيتية، فهو لم يطلب أي شيء آخر من الحياة.

ثم أشار إلى رغبته في مساعدة أمه في مصاريف العلاج، فالمسكينة قد تحملت الكثير منذ رحيل والده.
كل الظروف التي يمر بها أحمد، جعلتني أقرر أن أمد يد العون له فهذا واجبي كصديق.
كان لوالدي شركة في الاستثمار العقاري متعددة الفروع، لكني كنت أعلم جيدا أنه لن يساعدني فذلك سيكون آخر همومه، فهو مجرد سكير يجري وراء شهواته والنساء وطبعا المال، ولن يهتم أو يشفق على حال أحمد، لذا قررت أن أتصل بأحد أصدقاء والدي المقربين السيد جمال.
السيد جمال رجل ستيني لكنه يبدو أصغر من سنه بخمسة أو عشرة سنين على أقل تقدير،رب أسرة تتكون من أربعة أفراد وقور طيب، غالبا ما تطغى على كلامه اللغة الفرنسية، يقضي كامل يومه في مكتبه وإن رأيته صدفة دون أن تعرفه فسيعطيك الانطباع بأنه رجل أعمال مشغول طيلة الوقت.
كان للسيد جمال عديد الشركات التي أجهل كنهها لكني كنت متيقنا أنه سيساعدني فقد كان يؤكد لي دائما أن أتصل به وقت الحاجة وها قد جاءت الحاجة.
وباتصال قصير وافق السيد جمال على أن يلتقي بأحمد في مكتبه ويمنحه فرصة عمل بنصف دوام فهو دائما ما يبادر في تشجيع الشباب.
في اليوم الموالي ذهب أحمد لمقابلة السيد جمال، بعدها عاد مسرورا بابتسامة أظهرت الغمازات المعهودة على خديه وقد روى لي كل تفاصيل مقابلته للسيد جمال.

- **السيد جمال يبدو رجلا طيبا، لقد وضحت له أني أدرس وأرغب في عمل بنصف دوام فأعلمني أنه يحتاج لشخص يعمل في اليخت خاصته وأخبرني أن العمل سيكون مرة وسط الاسبوع وسيقتصر على تنظيف اليخت من الداخل وترتيبه لأن السيد جمال غالبا ما يتناول عشاءه مع أصدقائه على متن اليخت بالاضافة إلى أن الراتب جيد ومناسب ولن أحتاج للعمل كل يوم وبهذه الطريقة سأكسب بعض المال وأتمكن من الدراسة ...**

ثم واصل أحمد الحديث عن السيد جمال وعن اليخت وعن كل أحلامه، في الواقع كانت هذه المرة الاولى التي ثرثر فيها أحمد دون أن يتحدث عن الفن والدراسة والامتحانات.

سيدي بوسعيد ...

فوق تلك الهضبة تقف شامخة، لتطل على مياه البحر الأبيض المتوسط، عروس قرطاج بمظاهرها الاحتفالية والمباني المطلية بالأزرق والأبيض .

وبعد أن استقل المترو ثم التي جي أم، ذهب أحمد للعمل في ميناء سيدي بوسعيد على متن يخت السيد جمال، أذكر جيدا أنه قد انبهر فهي أول مرة يصعد فيها يختا عكسي أنا الذي مملت كل تلك اليخوت والرحلات البحرية التافهة، كان اليخت من الحجم المتوسط فقد زرته رفقة والدي مرات عديدة، فخم من الداخل والخارج كتب أسمه على أحد جانبيه بخط أحمر غليظ " red ecstacy" أي النشوة الحمراء.

وقد كان عمل أحمد في غاية السهولة فهو ينظف اليخت بعد سهرة حمراء متقدة يقضيها السيد جمال مع أصدقائه.

كان يلمع الارضية يرتب المكان، يتخلص من الفضلات، يجمع قوارير الويسكي والنبيذ وما شابه، يلقي ببقايا الطعام جدول أعمال بسيط نوعا مقارنة بالراتب الذي يتلقاه، لكن لم يكن مسموحا له الاقتراب من قمرة القيادة أو من غرفة صغيرة جدا علقت عليها ورقة كتب عليها "private".

ولم يمضي شهران حتى تعود أحمد بالسيد جمال وأظن أن الأخير قد استلطفه لكونه وسيما مهذبا وقليل الكلام.

كل طلاب الجامعة قد أحسوا بذلك التغير المادي الذي طرأ على أحمد، بالطبع هو لم يشتري ملابس فاخرة أو ما شابه، بل كل ما فعله هو اقتناء عدة رسم جديدة وألوانا زيتية ولوح رسم رقمي قال أنه قد اشتراه بالتقسيط بفضل عمله الجديد.
وهنا نستطيع القول أن ابتسامته صارت أكثر إشراقا، صار أكثر مرحا مفعما بالحياة.
في الاستراحة كان يجلس برفقتي بينما كان يرسم شيئا على لوحه الرقمي الجديد ويقول:

- كل الفضل يعود لك، كم كنت بحاجة لوظيفة كهذه.

فأجبته ضاحكا:

- أعلم أنك سترد لي الجميل في أحد الأيام.

ثم نظرت إلى ما كان يرسمه على اللوح الرقمي:

- ما الذي ترسمه يا أحمد؟
- أعد رسوما لقصة مصورة ربما سأنشرها في يوم ما، في الواقع لم يبقى فيها الا القليل.
- أنا متشوق لرؤيتها...
- اصبر لم يعد هناك الكثير.

مساء يوم الاربعاء ذهب أحمد للميناء كالمعتاد ليلمح يخت النشوة الحمراء باسطا ملكوته في المرفأ، الأضواء الحمراء الياقوتية مشتعلة كعادتها وبرد شهر جانفي قد اشتدت حدته قرب البحر.
لكن أحمد كان من عشاق جو الشتاء البارد وصوت الأمواج ونسيم البحر الذي ملأ نقاءه رأتيه.
دخل اليخت كالعادة، حياه السيد جمال الذي بادره بالسؤال عن حاله واكتفى أحمد بالاجابة أن كل شيء على ما يرام.
علق أحمد معطفه على الشماعة وجلس ينتظر السيد جمال إلى أن يفرغ من عشائه مع صديق ما وكان يأمل ألا تطول السهرة الليلة فهو يتوق لحساء الحلالم بالقديد الدافىء ليملأ معدته.

كانت هذه المرة الأولى التي يرى فيها أحمد هذا الرجل رفقة السيد جمال طيلة الفترة التي عمل فيها على اليخت، جلس أحمد على أحد المقاعد وأخذ يفكر بالحياة التي يعيشها الأثرياء والطعام الشهي الذي يأكلونه والملابس ذو الماركات المعروفة وعطور التي تشم عن بعد أمتار... إلى أن سمع صوت السيد جمال ينادي عليه من بعيد:

- يا ولد أحضر قارورة الويسكي وتعال.
- حاضر.

قالها أحمد في نفسه.

سكب أحمد بعض الويسكي في كأس خالية من الثلج كما تعود أن يقدمه للسيد جمال ثم اتجه نحو الرجل الآخر ليسكب له بعضا من الوسكي لكن الرجل الآخر وضع يده على الكأس ليمنع أحمد من ذلك ثم قال بلكنة إنجليزية ممتازة:

- Whiskey On the rocks.

فاتجه أحمد إلى الداخل قصد إحضار الثلج فقد كان يعرف أن عبارة **whiskey on the rocks** تعني الويسكي بالثلج، ربما كان قد سمعها في فيلم أو في أغنية ما أو في مواقع التواصل الاجتماعي فهو لا يذكر كيف يعرف هذه العبارة مع أنه لا يشرب ولم يذق الشراب في حياته ولم يرتد البارات مطلقا لكن لحسن حظه أنه تذكر أنه يعرفها وقد نجى من حماقة مؤكدة.

حماقة أن يبدو كالجاهل الأبله وهو يستفسر معنى تلك الجملة الانجليزية.

كان الرجلان يضحكان ويتمتمان في سرهما فظن أحمد أنهما يتحدثان عن الفتيات فهذا ما يفعله الرجال خاصة إن كانوا ثملين، فالرجل الآخر الذي عرف فيما بعد أن اسمه إسماعيل كان يضحك بصوت خليع لايطاق يتعارض مع مظهره الستيني كل ما في ذلك الرجل يوحي بأنه وغد وزير نساء فهو من ذلك النوع من الرجال الذين يحاولون أن يبدوا أصغر من سنهم لكن لسوء حظهم يفشلون، وأن يظهروا بذخهم من خلال بطونهم الكبيرة الشحيمة وارتدائهم عدة خواتم واكسسوارات وسيجارا فخما بين الشفتين، أولئك الرجال الذين يناديهم الفتيات ب**sugar daddy** والأغلب أن هذه الفئة من الرجال صارت موضة العصر.

وفجأة سمع صوت السيد جمال يناديه من بعيد ثانية ليقطع شروده فاتجه نحوه مسرعا.
سأل السيد جمال أحمد وهو يمضغ قطعة لحم:

- **يا فتى هل أنت مشغول ليلة الجمعة؟**

فأجاب أحمد:

- **لا.**
- **وهل أنت مشغول طوال نهاية الاسبوع؟**

فكر أحمد قليلا لأن لديه مخططات في قضاء كامل يوم السبت مع والدته واصطحابها رفقة أخيه الأصغر للسينما ثم للعشاء في أحد المطاعم الشعبية ...
غمغم قليلا ثم قال:

- **نعم سيدي أنا مشغول طيلة يوم السبت.**

فسأل السيد جمال قصد الاستفسار:

- **وما الذي يشغل شابا مثلك غير موعد غرامي مع حبيبتك على سطح المنزل أو في حديقة الباساج؟**
- **لا... إنها أمور عائلية.**
- **آه أمور عائلية إذن، آمل ألا تكون ظروفا مستعجلة.**
- **هي ليست كذلك سيدي.**
- **ليكن، حتى وان كانت ظروفا مستعجلة فيمكنها الانتظار أمام العرض الذي سأقترحه عليك.**

ثم عاد السيد جمال للأكل، أخذ الشوكة والسكين وأخذ يقطع قطعة اللحم الوردية من الداخل الذي كان يفضل أن يكون طهيها "تحت الوسط" medium rare.
وأخذ يمضغ ببطئ قصد جعل أحمد يتساءل عن هذا العرض الذي سيقدمه له.
ثم بكل سماجة جرع السيد جمال بعض الويسكي ثم قال:

- **أحد شركاتي حققت أرباحا خيالية في مناقصة قد ربحتها منذ أيام، لذا سأقيم حفلا على متن اليخت في نهاية الأسبوع وأحتاجك إلى جانبي لكي تشرف على كل التدابير اللازمة في اليخت .**
- **لكن اعذرني فلانا ليس لدي خبرة في هذه الأمور.**

- لا تقلق يا فتى، سأحضر خبراء يتدبرون هذه الأمور وأنت ستكتفي بالمساعدة، عمال الفندقة سيشرفون على الأمور التي لا تفهمها، وهناك من سيتدبر أمر المأكولات، أنت فقط ستساعد في وضع بعض الطاولات هنا وهناك وترتيب الديكور، قبل الحفل ستستقبل معي المدعوين بابتسامة عريضة ووجه مشرق، أثناء الحفل سعتني بالمشروبات فلا أريد أن ينقص أي شي... سنعود إلى الميناء بعد الظهر ستتكفل بتنظيف الفوضى لغاية المساء ثم هذا كل ما في الامر.... بالطبع اذا وافقت ....

جرع السيد جمال بعضا من الويسكي قصد أن يبلل ريقه ثم واصل الحديث:

- بالطبع إذا وافقت ستتقاضى في الليلة ثلاثة أضعاف ما تتقاضاه في العادة على الليلة الواحدة، فكر في الأمر فالمبلغ مغر، وبالطبع سأحضر فتاة لتساعدك في أمور التنظيف تلك.

فتكلم ذلك العجوز الذي كان اسمه إسماعيل :

- لا تترد فالصفقة مغرية سيكون هناك الكثير من الحسناوات ستكون تجربة فريدة من نوعها.

ودون أي تفكير قال أحمد:

- أنا موافق.

فهو كان في أمس الحاجة لذلك المال .

ثم واصل السيد جمال الشرح بكل دقة:

- النظام... أريد أن يكون كل شيء مثاليا، أريدك أن تلبس قميصا ذو أزرار أسود وسروالا أسود وحذاء أسود ملمعا، أريدك أن تستقبل المدعوين معي، أراهن أن ابتسامتك تروق النساء . ..

فأطلق السيد اسماعيل صهلولة رقيعة.

وفي نهاية الحديث أكد له السيد جمال أن يأتي باكرا مساء الجمعة، وأن يكون كل شي جاهزا قبل الساعة التاسعة مساء ليلة السبت.

بعدها أشار عليه بالانصراف حتى ينهي عشاءه.

أطلعني أحمد بعرض الشغل هذا قبل أن يخبر به والدته حيث اتصل في ذلك المساء قائلا:

- **أريد منك نصيحة... لا أعلم إن كان من الأفضل أن أوافق على عرض السيد جمال أو أخرج رفقة أمي... لا أريد أن أندم على عدم قضاء وقت كاف معها عندما يشتد بها المرض.**
- **على رسلك يا أحمد، لما أنت سوداوي لهذه الدرجة، نهاية أسبوع واحد لن تعكر الأمور... لا تقلق بشأن والدتك أظن أنها نتفهمة لطبيعة عملك مع السيد جمال.**
- **هل ستكون أنت في الحفلة؟**
- **لا، لن أقدر على القدوم، أنا آسف يا أحمد فأنا لا أهتم للأرباح التي تحققها شركات السيد جمال.**
- **حسنا فهمتك...**
- **خذ الأمور ببساطة وأنا متأكد من أنك ستقضي وقتا رائعا، تصبح على خير.**
- **ليلتك زينة.**

أعلم أحمد والدته بالتغير الطارئ على برنامج نهاية الأسبوع وقد بدى متأسفا فمال الكون كله لا يضاهي لحظة مع أمه، ثم نفث في نفسه بعض الأمل مستطردا:

- **سأعوضك ببرنامج أفضل نهاية الأسبوع المقبل، وأعدك بأني لن آخذك لنفس المطعم في نهج لندرة.**

فضحكت الأم قائلة:

- **كل شيء له مذاق خاص معك، حتى لو كان العشاء صحفة لبلابي في باب الجديد.**

فقبلها من جبينها مبتسما، لكن ابتسامته بترت عندما أردفت والدته:

- **لقد أتعبناك معنا، من المفترض ألا تشغل بالك بأي شيء غير الدراسة.**
- **صدقيني أنا مرتاح في العمل يا أمي، سأتخرج بعد أشهر سيصبر الوضع أفضل.**

فاحتظنته معبرة عن رضاها.

****

صباح يوم الجمعة، واثر عودته من الكلية، تناول أحمد الغداء رفقة أخيه الأصغر ووالدته ثم جهز ملابس السهرة.

ذلك الطقم الأسود الذي يرتديه في المناسبات، وذلك الحذاء الذي اشتراه في عيد الفطر الفارط، فدخلت عليه والدته وناولته سرة من الملح والسينوج قائلة:

- **لا تنسى وضعها، تحميك من العين، خمسة وخميس على ولدي.**

ثم ربتت على كتفه وقالت:

- **مصاب نفرح بيك قبل منام عيني...**

ابتلع أحمد ريقه واقترب منها قصد مواساتها:

- **ستفرحين بي وبأولادي...**

ثم لثم جبينها بقبلة حارة.

****

آخر اتصال تلقيته من أحمد كان مساء يوم السبت، بدى فرحا، غمرته الغبطة لما رآه من أجواء احتفالية حيث قال:

- يا ليتك كنت هنا معنا... هذه أفضل حفلة أحضرها على الاطلاق.

بعدها لم أتلقى أي اتصال منه فقد خلت أنه سيتصل بي كل ربع ساعة حتى يطلعني بتفاصيل السهرة بينما يثرثر عن الحسناوت وتوست الكافيار الذي يذوقه أول مرة والمقبلات المصنوعة بكبد البط وكوكتيل المارتيني ونهاد الحسناوات المحشوة بالسيليكون...

والأغرب من كل هذا أنه لم يرد على أي من اتصالاتي.

عاودت الاتصال يوم الأحد، لكن دون جدوى.

الولد مشغول، ربما قد نزع الخجل وظفر بجميلة ما فهذه هي فرصة عمره...

سأعرف كل التفاصيل عندما ألاقيه في الصباح.

وهكذا رميت بالهاتف ونمت مرتاح الضمير.

على الساعة الثانية صباحا تلقيت اتصالا هاتفيا من والدة أحمد أجبته بنبرة يغلب عليها التعب والنعاس:

- مرحبا من هناك؟
- يا وليدي أنا أم أحمد حليمة، وخيك راهو ما رجعش للدار...

ثم انفجرت بالبكاء.

وهناك علمت أن أمرا ما قد حدث لصديقي العزيز أحمد...

2

صوت الأمواج التي تهز اليخت يمينا وشمالا لا يفارق مسمعي.
كل شيء يهتز....
كانت نهاية أسبوع جنونية...
تمددت على السرير شارد الذهن أفكر في صديقي أحمد.
اخفضت صوت الحاسوب الذي كان يبث حلقات شوفلي حل حتى ينسيني وحدتي، ووضعت قرطاس الفشار والفواكه الجافة على الطاولة.
الانارة منعدمة إلا من ضوء الحاسوب الواهن وأنا أحدق بالسقف بينما أقدح زناد أفكاري وذهني مشغول بالتفكير:
صوت الامواج....
كل شيء يهتز....
كيف انتهى بي المطاف إلى هنا؟
لماذا أحمد...
لماذا أنا...
هل فقدت عقلي حتى أسرد قصصا مبعثرة من هنا وهناك؟
هل حدثتك قليلا عن نفسي ومن أكون.
من أنا؟
لا قيمة للأسماء أبدا، لن أضيف لك أي شيء إن أخبرتك بإسمي، تستطيع أن تناديني بما شئت، محمد، أيمن، خالد... اختر ما يروق لك من الأسماء فلا مانع عندي.
هل أنا وسيم؟

ذلك أيضا لا يهم، تركت لك المساحة الحرة حتى تتخيلني كما تشاء
ذكرت مسبقا أن والدي ثري، أعني فاحش الثراء وذلك أهم شيء، ولعلك لم تدرك أن ذلك الثري السمين السيد اسماعيل هو والدي كيف تغافلت عن اخبارك بتفصيلة مهمة كهذه... لكن كل المال الذي قضى والدي حياته في جمعه لم يحلب له ولا قطرة سعادة واحدة.
كنت محظوظا لأن طفولتي كانت جيدة نوعا، أو على الأقل لم تكن بذلك السوء، كنت أحصل على كل ما أريده حتى قبل أن أطلبه، فتلك ميزة أن تكون الابن الوحيد، أن تكون مدللا وألا تتنافس مع أخ آخر على ذلك الحب، فقد فزت بحب الجميع من أقارب وأصدقاء في الحي والحضانة والمدرسة...
لقد أحبتني أمي بكل جهدها وعطفها، وقلبها، وقوتها...
آه، كم كانت جميلة فاتنة تماما مثل هيفاء...
كان إسمها نادية.
هل أخبرتك أن أمي نصف فرنسية؟
أظن أني لم أفعل لأنها المرة الأولى التي سأتحدث فيها عن نادية بكل هذا الصدق والشفافية.
كانت أمي نادية، جميلة لدرجة لم أتمكن من وصفها، جميلة لدرجة جعلتني أعجز عن رسمها، لقد حاولت مرارا وتكرارا، ولعل تلك السلة المملوءة بالأوراق الممزقة هي خير دليل.
أذكر ابتسامتها الربيعية كأنها تبتسم لي الآن بأسنانها اللؤلؤية ناصعة البياض وشفتاها الورديتان.
تبتسم عندما نجلس على الأرض ونركب قطع لعبة الpuzzle.
أو عندما نشاهد التلفاز أو نلعب لعبة على النينتندو.
كان صباحي مشرقا بسبب ابتسامتها التي توقظني بها قائلة:

- **هيا يا عزيزي ستتأخر عن المدرسة.**

تلك الابتسامة كانت تعني لي كل العالم.

كانت أول شيء عشقته في هذه الحياة بجانب رائحة عطرها الفرنسي وأثوابها الصيفية المزينة بالأزهار فقد كانت تعشق التسوق من باريس وأنا لا ألومها في ذلك ...
هل تبدو القصة مملة؟
لا بأس فأنا سأواصل السرد على أية حال، فهذه القصة ليس لها علاقة بعقدة أوديب.
أبي الذي حدثتك عنه في البداية وقلت أنه زير نساء، لم يكن هكذا في البداية.
وما سأحكيك الآن قد يغير رأيك فيه.
كان أبي مشغولا بالعمل طيلة الوقت قبل أن يدرك أن "الحلال ما يوصلش" فقد أسس شركة مع صديق له وكان يعمل ليلا نهارا لتحقيق ارباح اكثر، مقاول بناءات شاب يسعى لبناء ذاته وكسب صفقات أكثر في السوق.
كان يعمل كالأبله المغفل الحمار الذي لا يتعب، حتى يوفر كل شيء لعائلته حتى يحقق كل رغبات وطلبات أمي التي أحبها بجنون.
آه كم كنا سعداء.
كان زمنا جميلا.
البعض لا يؤمن بالحب لكن إن كنت منهم فأقسم لك أن والدي أحب أمي حتى الجنون.
لم يطلب اسماعيل من العالم أي شيء غير زوجة جميلة ورقيقة وعائلة صغيرة سعيدة، وبالفعل قد تحقق ذلك.
لا أعلم عدم انجابهما لأبناء غيري لكن ذلك كان أفضل في كل الأحوال.
نادية عسلية العينين ذات الشعر الكستنائي المنسدل على كتفيها، هي كانت مصدر سعادتنا، أراهن أن الجميع كان يرمقها في حسد على كل هذا الجمال... نادية لطيفة الخلق، ملائكية الملامح بذوق فرنسي جدا في الفن، إن عشقت نادية ستعشق الفن وذلك كان الحال معي.
لم تدخل والدتي كلية الفنون الجميلة بباريس بل قررت أن تتزوج والدي اسماعيل وتأسس بيتا وتستقر، رغم ذلك فقد ملأت البيت بمختلف الكتب التي تتحدث عن

الفن، لقد جمعت كل كتب ثروت عكاشة، هذا كتاب عن النحت والمنحوتات، ذلك كتاب عن فن النهضة الإيطالية، ذاك عن رافاييل...

هذا الكتاب عن عصر الباروك...

منذ نعومة أظافري ناولتني أقلاما ودفتر رسوم وكنا نقضي أمسيات مسلية في تلوينه.

حتى آخر هدية تلقيتها منها كانت علبة أقلام أحضرتها من فرنسا في عيد ميلادي السابع.

كانت أغلب ذكريات طفولتي مع أمي لأن والدي كان مشغولا بحصد المزيد من الأرباح والركض وراء مجد الثراء الفاحش.

فنادية كانت دائما ما تلح في طلبها في شراء بيت مزرعة مثل صديقتها اسمهان، لكن اسماعيل لم يوافق بحجة أنه ليس ثريا مثل زوج السيدة اسمهان، أضف إلى ذلك أن عمله وحياتنا في تونس العاصمة ومنزل المزرعة هذا لن ينفع في شيء .

- **خسارة فلوس...**

هذا ما كان يقوله كل مرة.

لكنها كررت طلبها بينما كانت تصبغ أظافرها بالطلاء الأحمر:

- **صديقتي اسمهان اشترت منزلا ريفيا جميلا في بني مطير، يجب أن نشتري نحن أيضا منزلا في بني مطير.**

وتكرر الطلب كل يوم:

- **يجب أن نشتري منزلا في بني مطير...يجب أن نشتري منزلا في بني مطير...**

وفي النهاية لان قلبه واستسلم قائلا:

- **حسنا سأشتري لك منزل مزرعة حتى تغيضي به صديقتك لكن أمهليني بعض الوقت.**

فارتمت في أحضانه كالقطة قائلة بينما كانت تغرقه بالقبلات:

- **آه كم أحبك.**

لا... لم تقبل شفتيه فنحن لسنا في فيلم أجنبي.

لم يستطع إسماعيل أن يقول لا، لم يشأ أن يحطم قلبها، فهو يكره أن يراها حزينة.

كان إسماعيل من ذلك النوع من الرجال ذو الطراز القديم الذي يبرع في الطهي فقط من أجل إبهار زوجته، ففي أيام اجازته كان يعد لنا المعكرونة بالجبن أو يقيم لنا حفلة شواء صغيرة، كان يغسل الملابس ويقوم بأعمال الطي والكي حتى يشعرها أنها ملكة.
يحظر لها الزهور مع فطور الصباح مع البانكيك بشراب القيقب وثمار توت العليق ويقول لها كلمات غزلية باللغة الفرنسية فتبتسم وتقول:

- **كم انت بارع في الطبخ....**
- **وبارع في الأكل أيضا....**

ثم ينقض عليها كأسد جائع.
وتضحك بكل أنوثتها ثم تنهض لتشغل فيروز، لن تكتمل بهجة فطور كهذا إلا ومعه فيروز.

"أنا لحبيبي وحبيبي الي"

كانت تدندن في رقة كأنها نسمة صباح منعشة.
ثم تلبس قفازها الاخضر المصنوع من اللاتيكس وتغسل الأواني وهي تدندن ألحان فيروز.

" يا أنا يا أنا أنا ويّاكْ
صرنا القصص الغريبِة
يا أنا يا أنا أنا ويّاك
وانْسَرَقت مَكَاتيبي
وعرفوا إنّك حبيبي"

بالطبع نادية لن تقوم بأعمال المنزل دون قفازها الأخضر الذي تلبسه يوميا وهي تمسح وتنظف وتجلي الصحون لقد كانت من ذلك الطراز من النساء اللاتي يبكين إن كسر أحد أظفارهن أو إن تشققت أيديهن واخوشنت من جراء مواد التنظيف.
ألا يبدو ذلك مثاليا؟
نعم لقد كانت حياتي مثالية لدرجة تجعلها تكون خيالية...
ليتها كانت كذلك.

في ذلك اليوم كنت أشاهد التلفاز في غرفة المعيشة حيث دنت مني أمي بينما كنت أشاهد الرسوم المتحركة على قناة سبايس تون وقالت:

- **يا ولد أخفض التلفاز سأتصل بوالدك.**

وفعلت، اقتربت من الهاتف وبدأت تضغط على الأزرار، ثم بعد برهة قالت:

- **أهلا اسماعيل، آسفة على الاتصال الآن، أتمنى أني لم أزعجك...**

ثم سمعتها تواصل الحديث:

- **أجل لا تقلق كل شي على مايرام... أجل... في الواقع اتصلت لكي أخبرك بأن تحضر معك شيئا للغذاء فقد نفذت قارورة الغاز وانت تعرف عدم خبرتي في هذه الأمور.**

كلامك صحيح.

أظن أنك قد خمنت أن أمي من ذلك الطراز أيضا لما ذكرته سالفا فهي لا تعرف تغيير قوارير الغاز وأخذها للدكان واستبدالها بأخرى مملوءة، تخاف الصراصير والفئران ولا تستطيع تغيير المصباح إن تلف.

لكن والدي طمأنها بأنه سيرسل صديقه حتى يغير قارورة الغاز، بالطبع لم أسمع ذلك بل أدركته عندما سمعت صوت الجرس .

ها قد جاء عصام.

كنت أعرف عصام منذ أن ولدت لقد كان صديق والدي وشريكه في العمل، درس مع والدي واطلقا مشروعهما الخاص عقب التخرج كان صديق كل العائلة وبمثابة العم بالنسبة لي، ذلك العم اللطيف الوديع الذي يحبه الجميع.

احتضنني عصام فور دخوله قائلا بصوته المرح:

- **أيها الفتى الكبير كيف كان يومك.**

ثم رمى لي بقطعة شكلاطة.

صدقا لقد أحببت ذلك الرجل فقد كان في غاية اللطف معي، كان يقول نكتا بسيطة تجعلني أضحك، أهدى لي ذات مرة زي الرجل الخارق وقال أني سأكون بطلا عندما أكبر... لكنه كان مخطئا.

كلن صوت التلفاز خفيض وكنت أسمع الضحكات المتعالية من المطبخ عصام يتباهى بعضلاته وهو يغير قارورة الغاز.

عصام يقول لها نكتا تافهة بلهاء وهي تضحك.
هي تقول إنه شهم ولطيف وخدوم وهو يضحك.
أظن أنها قد أعدت له فنجان قهوة اسبريسو فقد فاحت رائحتها في أرجاء البيت وأظن أنها قد ناولته قطعة من الماكارون الذي كانت تحضره من فرنسا كلما ذهبت لزيارة أختها هناك.
عصام يقول لها إن احتاجته ثانية فهو دائما في خدمتها ثم يرمي لها قبلة فتتسع عينيها من شدة الفرح.
لا أظن أنك على درجة من البلاهة حتى لا تدرك أن شيئا أعمق من الصداقة والأخوية يجمع بين عصام ونادية، لكن للأسف في ذلك الوقت لقد كنت أحمقا، بل مغفلا صغيرا لأني لم أدرك أن الأمور ليست على ما يرام.
كانت زيارات عصام لمنزلنا بالشيء العادي فقد كان يأتي رفقة والدي تقريبا كل يوم، عادة يتناول الفطور، وعادة العشاء، فهو شاب أعزب يعيش بمفرده ولا أحد يطبخ له وعادة أخرى كان يحضر بعض الأوراق الخاصة بالعمل حتى صارت تلك الحجة تيعلته التي أصرف في استنزافها:

"اسماعيل لقد نسيت الأوراق على المكتب، سأحظرها لك."
"اسماعيل هل تستطيع أن توقع لي بعض العقود".
"اسماعيل... اسماعيل..."

ووالدي الأحمق كان يصدق كل هذا بل وكان يقول له بينما يشد على يديه:

- **عصام أنت أخ حقيقي لي، ثقتي فيك مطلقة.**

في بداية الأمر لم يعرف والدي أمر قدوم عصام عندما تكون نادية وحيدة بالمنزل.
كانت تفتح الباب بأوسع الابتسامات وأبهى الطلات تقبل وجنتيه، تعد القهوة وبسكويت "لسان القطة" ثم تتقدم نحوي ترمي لي بالأقلام ودفتر التلوين وتقول:

- **هيا اذهب إلى غرفتك ولون هذه الصور يا عزيزي، لا تخرج من الغرفة حتى أنادي عليك... مفهوم.**

وكنت أنفذ كل ما تطلبه مني والفرح يغمر قلبي لأني كنت أعرف أنها ستثنى في شكري ثم تناولني قطعة ماكارون وهي تقول:

- **ستصير رساما عظيما ذات يوم.**

صار ذلك روتينا يتكرر مرة ثم مرتين ثم ثلاث مرات في الأسبوع فالأخ عصام لم يعد قادرا على العيش خلف الستار بينما يلعب اسماعيل الدور الرئيسي، بل صارت أمي حقا من حقوقه وملكية مكتسبة له.

أما الآن سأحدثك عن عصام .

لم يكن فيه أي شيء مميز، كان من تلك الوجوه التي تمحى من الذاكرة بسهولة.

لكنه لم يمحى من ذاكرتي أنا.

أظن أنه كان في الثلاثينات من عمره مقاول مثل والدي، مقبول المظهر نحيل فارع القامة، أسود الشعر، قمحي البشرة، دائم الإبتسام، لبق الحديث، أنيق نوعا، غالبا ما يلبس قميصا ذو أزرار أزرق أو أبيض.

ما الذي جعل والدتي تقع في حبه؟

لا أعلم.

لم يكن عصام متزوجا أو مرتبطا هذا ما أتذكره، أما عن عائلته والمدينة التي جاء منها، فأنا لا أعرف عن تلك التفاصيل شيئا.

صار عصام يتعذر عن الشغل ويأتي لزيارة أمي، مرة يقول لإسماعيل أن عليه أخذ أخته للمستشفى، مرة يقول أن عليه فحص السيارة، مرة ضرسه تؤلم، مرة أن يعود بأبناء أخته للمنزل، ومرة عليه أن يذهب ليعاين سير العمل...

أجل لقد كان بارعا في حبك الأكاذيب التي برع والدي في تصديقها.

كان يحضر لي الشوكولاتة والحلوى ورقائق البطاطا المقرمشة والعصير وكانت تلك نقطة ضعف كل طفل صغير.

في احدى المرات أحضر لي كاسيت نينتندو جديدة وضعها في الجهاز قائلا:

- هذه لعبة سوبر ماريو الجديدة ستروق لك كثيرا .

وبالفعل راقت لي كثيرا فذلك الوغد قد نجح في أن يبقيني مشغولا بتلك اللعبة السخيفة لأيام، ماريو يحاول تخليص الأميرة من الوحش وأميرتي كانت بين ذراعيه طيلة الوقت.

كان الطقس جميلا، كانت أمي تسمع أغنية فرنسية لjacques brel وهو يردد بصوت ملأته الحرقة والشوق والعذاب ne me quitte pas.
وهي تفكر في عصام
تسمع فيروز وهي تغني في شجن حبيتك تا نسيت النوم فتتنهد وهي تنتظر عصام.
ثم تشغل Aznavour ليغني mourir d'aimer ثم تتصاعد الألحان وتتعالى حتى لا أسمع تأوهاتها ونفسها المتقطع، ثم ضحكاتها التي تعبر عن الانتشاء والرضا.
لم أعرف معنى كل هذا، فقد راقني صوت الموسيقى المنبعث من الفونوغراف العتيق أليس في ذلك بعض الحنين؟
لم يتطلب الأمر الكثير من الوقت حتى جاء والدي ذات مساء يدندن ويغني ثم لوح لأمي بالمفتاح قائلا:

- مفاجأة...
- يا إلهي لا أصدق... اسماعيل... لا تقل لي أن هذا هو...
- أجل يا عزيزتي، هذا هو مفتاح بيت منزل المزرعة الجديد... وفي بني مطير مثل ما حلمت به تماما لقد صار لدينا مزرعة، لقد صار لدينا بيت الأحلام.

كادت تطلق زغرودة تصل لآخر الحي إلا أنها لم تعرف كيفية الزغردة، قبلت والدي شكرت احتضنته، وضعت له العشاء ثم أخذت تتحدث عن المنزل الجديد الذي شاءت أن تسميه بيت الأحلام:

- متى سنزوره... كم من غرفة فيه... هل فيه علية... كم من هكتار في المزرعة...
- سيعجبك فيه كل المواصفات التي تتمنينها ستعشقين ذلك البيت.

صبيحة الغد ذهبنا لنرى المنزل الجديد، كان يقع في في قرية نائية في الشمال الغربي.
بني مطير التي زرناها لأول مرة.
ملكة جمال جبال خمير، معمار فرنسي يأسر القلوب، سد مائي، غابات الصنوبر والفرنان والسنديان التي كانت موطنا لمختلف الحيوانات من أيائل وخنازير

وحشية وغزلان وذئاب، بعيدة عن الصخب والضجيج والهرج والمرج الذي ملت منه نادية واسماعيل.
أحببت الرحلة التي كنا نقوم بها كلما ذهبنا الى هناك، أتمتع بالمظاهر الطبيعية.
كنا نتوقف في الاستراحة الموجودة على الطريق ونتناول ما لذ وطاب من المشاوي والمشروبات الغازية وحلوى الملونة بالأحمر والأخضر "حلوة ماطر" المصنوعة بالسكر على شكل ديك أو عروسة، الغلال والخضار الطازجة التي يبيعها أبناء تلك الجهة على حافة الطريق، والأزهار والحشائش التي يبيعها الأطفال الذين كانوا في مثل سني وهم يتنقلون بين سيارة وأخرى وهم يلوحون بما في أيديهم وخبز الطابونة وعرائس الطين.
كان بيت الأحلام كبيرا، ذو طابقين، معماره فرنسي عتيق كما تخيلته والدتي، تحقق حلمها وصار ذلك المنزل كل شيء بالنسبة لها.
في فصل الشتاء، صارت القرية شبيهة بالقرى الأوروبية التي أشاهدها في البرامج الوثائقية، مكسوة بالأبيض كأنها عروس تزف ليلة زفافها فقررنا أن نحتفل بليلة رأس السنة في هذا البيت الجديد:

- لعله فاتحة خير علينا.

قالها اسماعيل بينما كان يراجع حسابات الشغل.

- سنصنع ذكريات لا تنسى في هذا البيت.

ردت عليه نادية بنبرة متحمسة.
دعونا بعض الأقارب وبالطبع عصام كان من الحاضرين.
هناك رأيت الثلج يتساقط أول مرة، صنعنا رجل ثلج وألبسناه قبعة العم عصام لعبنا بالثلج و تدحرجت فوقه وكتبت بحروف فرنسية رديئة "bonne année"
ثم التقطنا عديد الصور التذكارية وتعالى الغناء والتصفيق.
وقطعنا كعكة forêt noire التي خبزتها أمي بنفسها.
طوال السهرة كان عصام ينظر إليها، نعم لقد لاحظت هذا.
يرمق فستانها الضيق وانحناءات قوامها كأنه ذئب جائع يرغب في التهامها، كأنه مصاص دماء يرغب في أن ينهال على عنقها ويعضها حتى يسيل الدم.
لقد رأيت كل ذلك في عينيه.

ماذا عن أبي هل أحس بأن هناك شيئا ما؟
ليس بعد، فقد كان مشغولا بلعب دور رب الأسرة المثالي، لم يدخن قط.
لم يشرب ولا قطرة شراب واحدة.
لم تكن له كرش كبيرة متدلية...
لم يعرف نساءا غير أمي.
كانت حبه الأول، أحبها عشقها، تزوجها في غضون أشهر
وهكذا قضى الأمر في أن يخصص منزل المزرعة للعطل والاحتفالات.
بعد ذلك بأسبوع كنا في منزلنا في العاصمة وقد كنت مستمتعا بلعبة سوبر ماريو
وقد كان والدي بجانبي يبدي اعجابه بهذه اللعبة:

- **انها لعبة ممتازة أمك بارعة في اقتناء أفضل الأشياء.**
- **ليست أمي من اشترتها، العم عصام أهداها لي عندما زارنا المرة الفائتة.**
- **أي مرة فائتة؟ فأنت لم ترى العم عصام منذ احتفال رأس السنة... أليس كذلك؟**
- **لا بل المرة الفائتة...**

قال وقد بدأ ينفذ صبره:

- **أي مرة فائتة؟ هيا قل...**

ثم صاح في وجهي وقد فقد صوابه:

- **هيا قل... متى أهدى لك عصام هذه اللعبة اللعينة...**

لكني خفت ولم أجب، فقد كانت زيارات عصام كثيرة وقد نسيت في أي منها قد أهدى لي اللعبة.
تمالك والدي أعصابه واتجه لوالدتي حتى يفهم الأمور أكثر، دار بينهما نقاش قصير آل فيه والدي لتصديق كل ما قالته أمي، أظن أنها هي الأخرى كانت بارعة في صناعة الأكاذيب.
بعدها جاءتني أمي.
لا... لم تضربني فهي كانت أرق وألطف من أن تضرب ابنها بسبب زلة لسان تافهة:

- اسمع في المرة القادمة عندما يسألك والدك عن شيء ما اكتفي بكلمة واحدة وهي لا أعرف... إن أحضر لك عصام أي شيء وسألك والك عن الشخص الذي أحضر لك ذلك الشيء قل بكل بساطة ماما اشترته لي ... مفهوم ماما اشترته لي... واضح أو أكرر كلامي؟
- واضح... ماما اشترته لي.

ثم قبلتني واحتضنتني مرددة:

- ولد جيد، ولد جيد.

يوم غد انتظرني والدي كالعادة أمام المدرسة حتى يقلني للمنزل، سألني فور صعودي:

- كيف كان يومك؟

فحدثته عن الكم الهائل من الواجبات المدرسية والمجلة "عرفان" التي يجب أن أشتريها.

- حسنا سنفعل هذا فيما بعد.

فتحت حقيبتي وأخرجت مصاصة حلوى وقلت في فرح:

- أنظر لقد وزعت علينا المعلمة مصاصات الحلوى.

نزعت عنها الغلاف وأخذت أمص مصدرا صوتا موترا للأعصاب، وفجأة سألني والدي:

- هل يأتي عصام عندما لا أكون بالبيت؟

اكتفيت بهز رأسي وواصلت مص الحلوى بدل أن أجيبه، فصاح في وجهي بعد أن افتك المصاصة من فمي بطريقة مؤلمة ورماها من شباك السيارة كأن صبره قد نفذ:

- هيا أجبني هل يأتي عصام عندما لا أكون بالبيت، عندما تكون أمك وحدها.
- أجل... دائما.

قلتها وأنا ابكي.

- ماذا تعني بدائما؟

وأخذ يقود السيارة بطريقة جنونية ويصرخ في وجهي بطريقة مفزعة:

- أجب... متى وماذا تعني بدائما؟

- في الصباح... عادة في الظهيرة...

كاد أبي أن يصدم سيارة ما فور سماعه تلك الكلمات، ركن السيارة على الرصيف المجاور وضع رأسه على عجلة القيادة وبدأ بالبكاء بصوت مسموع...

- أبي، هل أنت على ما يرام؟ أبي هل قلت لك شيئا مزعجا...

نظر لي بعينين محمرتين مسح دموعه وقال:

- لا تقلق، كل شيء على ما يرام الكبار يتصرفون كالحمقى أحيانا... هيا سأشتري لك مصاصة أخرى، وأرجو ألا تخبر والدتك بما حدث الآن...
- حاضر أبي...

وبحماقة الأطفال لم أخبر أمي أي شيء عن الذي حصل.

كيف تفطن والدي أن هناك خطبا ما فقد كان ساذجا طيلة هذه السنين، كيف اكتشف أن أمي تخونه مع عصام...

تقلصت رغبتها الجنسية تجاهه تدريجيا، ثم لم تعد تلبي نداء الفراش وإن توقفت زوجتك عن تلبية نداء الفراش فاعلم أنها قد ملتك، وجدت من هو أفضل منك، وبالفعل قد وجدت نادية ذلك العفريت الفحل سلطان ألف ليلة وليلة الذي كانت تبحث عنه... وقد كان ذاك العصام.

تعذرت مرة، ثم مرتين، حتى صارت تتمنع تماما، مرة تقول أنها متعبة، يوم غد تقول إنه ذاك الصداع النصفي اللعين، بعد غد تقول إنها الهرمونات...

إلى أن سئمت كل تلك الأكاذيب وأخذت تصرخ في وجهه:

- أنت مهمل، أنت غير مسؤول، أنت غير قادر على فعل كذا وكذا...

كل الأدلة أمامك أيها الأحمق، إنها تخونك مع آخر، والحقيقة أنك تعلم ذلك، والحقيقة أنك تخلق لها الأعذار، والحقيقة أنك تظن أنها نزوة عابرة وسوف تعود اليك باكية راجية لأنها لن تجد أفضل منك، لكنها لم تفعل كنت أنت بمثابة النزوة العابرة لها، كنت أنت جسرا لتحقيق أمنياتها واليوم كل شكوكك ومخاوفك باتت واقعا كابوسا أليما لن تفيق منه.

نادية تخونك مع عصام.

زوجتك تخونك مع صديقك الوحيد.

يا لك من أحمق، يا لك من جبان.

كان يستيقظ كل ليلة على وقع هذه الهلاوس التي سكنت في رأسه.
رغم كل هذا لم يقل لها أنه يعرف، لم يقل لها أن ابنه صارحه بكل شيء.

- **عزيزي هل أنت مريض؟**
- **لا أنا على ما يرام.**
- **لكنك تنهض مفزوعا كل ليلة...**
- **مشاكل عمل.**

وبالفعل صدقته.
كف إسماعيل عن حلق ذقنه.
كف عن الاستحمام.
كف عن تغيير ملابسه.
توقف عن الأكل.
قل نومه.
صار يقضي أغلب الوقت خارج البيت.
بينما كانت هي مستمتعة بوقتها مع عصام
أصبح جثة حية، يجوب الشوارع بلا هدف، يشرد أثناء حديثه، لا يركز في الشغل، أهملني وأهمل نادية وأهمل نفسه، إلى أن جاءت اللحظة التي قال فيها:

- **عزيزتي، كما تلاحظين لقد أنهكني العمل في الآونة الأخيرة ارغب في اخذ اجازة واقترح أن نذهب سويا لقضائها في بيت المزرعة.**

لم تستطع أن تقول لا فلو رأيت وجه إسماعيل وهو يقول تلك الكلمات لانفطر قلبك.
ربما إن صارحته لصفح عنها وأعطاها فرصة جديدة، ربما إن برهنت له حبها لقابلها بصدر رحب...
كلها ترهات، فالشرف هو الخط الأحمر الوحيد، كل النساء يحبون لعب دور الخائنات، إنها لفكرة مثيرة أن يشتهيها أكثر من رجل وإنه لجميل أن يضحي في سبيلها رجلان أن يموت واحد ويقاد الثاني للجنون.
أليس هذا ما نراه في المسلسلات والأفلام وأغاني الفيديو كليب؟
أخذ والدي إجازة من العمل فهناك عصام الذي سيعنى بكل شيء.

وهكذا انقضى يومان في بيت المزرعة يومان، لقد كان سعيدان، أبي الذي كان يتظاهر بأنه لا يعلم... يطبخ ويمرح ويمازح أمي وهي تضحك من أعماقها، أما أنا فقد كنت اطارد الفراشات واصطاد الحشرات.

دامت السعادة لبضع أيام فقط حتى جاء عصام...

أجل لقد تبعنا لمنزل المزرعة فهو لم يصبر أكثر من ذلك.

- **آه عصام... ما الذي جاء بك هل كل شيء على ما يرام؟**

هكذا استقبله والدي.

- **حاولت الاتصال لكن الهاتف...**
- **أجل الهاتف معطل، هل كل شيء تمام؟**
- **في الواقع هناك بعض الأوراق التي يجب أن توقعها مع أحد الشركاء وقد طلب رؤيتك غدا...**
- **لكن هذا مستحيل، ألم تخبره أني في إجازة.**
- **لقد أصر...**
- **حسنا، فليس لدي خيار آخر سأذهب.**

لكن أمي عارضت بدهاء:

- **تذهب... وتتركني وحدي...**
- **عزيزتي يوم واحد ولن أتأخر، سأكون هنا مساء غد.**
- **ليكن فأنا لن أبقى وحدي في مكان ليس فيه جيران حتى، ماذا لو حصل لنا مكروه ما أنا وابنك، هاجمنا خنزير بري أو ذئب...**
- **لن يحدث شيء، فهذا ليس فيلم رعب.**
- **لا يهمني، لن ابقى وحدي ...**
- **حسنا لدي حل.**

والحل الذي جاء به والدي كان أن يبقى عصام معي أنا وأمي في البيت لغاية عودة والدي وبالطبع لقد وافق عصام فذلك ما كان يريده، فقد فعل المستحيل حتى يأتي ويرى أمي .

قضى عصام الليلة معنا وفي الصباح استيقظ أبي قبل الجميع حتى يتجه نحو العاصمة.

استيقظت أمي على الساعة الثامنة، أيقظتني كالعادة بوجهها الباسم وقالت لي:

- **هيا أيها البطل سأعد لك فطائر البانكيك التي تحبها.**

ثم تناولت الإفطار مع أمي وعصام، كان عصام يحكي نكتا سخيفة كالعادة كنا نضحك.

بعدها ارتدت قفازها الأخضر وبدأت تغسل الأواني.

إن انعكاس أشعة الشمس المتسللة من النافذة يزيد شعرها لمعانا، اقترب منها عصام هامسا:

- **لقد رتبت كل هذا لكي أراك... لقد اشتقت اليك، لا أريدك أن تبتعدي عني، يجب أن تحسمي الأمور معه عندها سنكون معا إلى الأبد.**

ثم راحت تغازله بكلمات معسولة وهي تضحك حتى تزيد جنونه، ثم أمرتني:

- **صغيري هيا اذهب والعب خارجا بالأرجوحة.**

فسألتها ببلاهتي المعهودة:

- **من سيأرجحني؟ فأنا لا أستطيع اللعب بمفردي؟**

لا بأس اذهب والعب بالكرة، العب بأي شيء المهم ألا تدخل البيت حتى أنادي عليك.

وفعلت ما طلب مني دون أي اعتراض.

رمت أمي بالقفاز الأخضر على الطاولة واصطحبت عصام لغرفة النوم...

****

لم يذهب والدي لأي مكان، فقد ركن سيارته في الغابة ما ثم عاد يقتنص اللحظة التي انتظرها، لقد خطط اسماعيل لكل هذا، فقد كان يعلم أن عصام لن يصبر، عصام سيأتي وبالفعل لقد وقع في الفخ كالمغفل.

نظر لي والدي فوجدني ألعب الكرة، رماها لي وقال:

- **لا تدخل البيت حتى أنادي عليك.**

هززت برأسي أن نعم ثم واصلت اللعب.

دخل أبي المطبخ وجد ذاك القفاز الأخضر ملقى على الطاولة، ارتداه وأخذ سكينا من الدرج ثم توجه لغرفة النوم كانت الموسيقي منبعثة من الداخل كالعادة و edith Piaf تقول Non, je ne regrette rien.

لن تندم أمي على خيانتها لوالدي.

لن يندم عصام على القدوم لبيت المزرعة.

ولن يندم اسماعيل على أي شيء...

هكذا صنعت نادية من اسماعيل مجرما لا يقهر.

****

هل أنا على ما يرام؟
لماذا أتذكر كل هذه الأحداث الآن؟
هل أحمد هو السبب؟
أم هي هيفاء؟
أم هي تلك الزيارة لمنزل المزرعة...
أم ذلك القفاز الأخضر الذي أخذته معي.
أنا لست على ما يرام.
أخذت منديلا ومسحت دموعي ثم عدت إلى السرير.
شهيق زفير... شهيق زفير...
أنا قادر على مواصلة سرد الاحداث.

****

أنا أعلم ماذا رأى والدي من ثقب المفتاح لحظتها لأني قد رأيته أيضا مرات عديدة.
نادية وهي تتأوه عصام... عصام.
نادية ترتعش... أحبك عصام.
فتح اسماعيل الباب ووقف أمامهما بذلك القفاز الأخضر وتلك السكين الكبيرة كمن خطط للجريمة الكاملة.
أنا من دق آخر مسمار في نعش نادية...

****

مرت ساعات طويلة ولم ينادي علي أي احد.
شعرت بالجوع بعد أن طاردت الجنادب وتأرجحت ولعبت بالكرة.
شعرت برغبة ملحة بالتبول وقد كان احساسا غريبا لأني لم أفرغ مثانتي منذ الصباح.
هل أدخل البيت؟
أمي قالت ألا أدخل وهذا ما أمرني به والدي، هل أدخل؟
آه مثانتي...
دخلت كنت أسمع تلك الأغنية الفرنسية المحببة لقلبي.
أمي...
أبي...
عصام...
لا أحد يجيب.
توجهت للمطبخ فوجد أبي يلبس ذلك القفاز الأخضر ويغسل سكينا كبيرة.
هل كان هناك دم؟
بالطبع لا.
هل رأيت الجثث؟
أيضا لا...
هل كان السكين ملطخا بالدماء؟
لا...

- **أين أمي؟**
- **ذهبت في مشوار وستعود.**

قالها في برود بينما كان يعيد السكين لمكانه.

اختفت نادية منذ ذلك الحين كأن الأرض قد ابتلعتها، ولم تترك أي دليل وراءها.
بالطبع تركت رسالة تقول فيها أنها رحلت مع عصام ولن تعود.
بالطبع أخذ إسماعيل الرسالة إلى قسم الشرطة وقام بالتبليغ عن الأمر.
بالطبع لم يقتنع أحد بتلك الرسالة السخيفة، لكن البحث الذي لم يجدي نفعا جعلهم يتقبلونها.
انتقلت للعيش مع خالتي في باريس بسبب الخلافات التي حصلت بين عائلة أمي ووالدي ومع ذلك كان إسماعيل يزورني باستمرار. ألقى الجميع باللوم على إسماعيل بينما ألقى إسماعيل باللوم على نادية.
الشرطة لم تستطع تبين شيء في خصوص قضية نادية وعصام وبعد جملة التحريات والاستجوابات الرتيبة مل أعوان الشرطة تلك القضية واعتبروها قضية قمة في السخف، كلاهما ليس له أعداء أو خصامات مع أشخاص تصل لدرجة القتل.
هل انتحرت نادية وألقت بنفسها في سد ما أو في بحيرة ما؟
لكن ماذا عن عصام؟ هل انتحر هو أيضا؟
رمزية هذا الاختفاء في كونه لغزا لا يجسر أي أحد على حله لأنه لا يهم أحدا على الإطلاق.
نادية هربت مع عصام، وانتهى الموضوع، أنت لست في فيلم بوليسي حتى يقتلها زوجها الذي وجدها مع عشيقها دفاعا عن الشرف "فيق على وضعك راك في تونس مش في لاس فيغاس"
إن لم تكن هناك جثة، فليس هناك جريمة.
والسلام.
ثم أغلق ملف القضية.
قالوا ذلك لأنهم لا يعرفون إسماعيل ..
أو ربما قالوا ذلك لأنهم يعرفون من هو إسماعيل.
سألته مرات كثيرة إن كان قد فعلها، لكنه كان يغضب في كل مرة ويصفني بالجنون:

- يا ولدي ياخي هبلت... هل تظن أن والدك مجرم؟ هل قصرت في حقك يوما حتى تشك في أمري لهذا الحد؟ أنت صرت تسمع كلام الآخرين... من ملأ دماغك بهذه الترهات هل هي خالتك؟ بالطبيعة خالتك دورتك عليا، أمك جلبت لي الخزي والعار بفعلتها تلك، أين هي الآن... ذهبت مع الريح.
- لكني رأيتك تقف وفي يدك سكين...
- لكني لم أفعلها..

ثم أجهش بالبكاء.

هل والدي قتل عصام ونادية عندما اكتشف العلاقة التي بينهما؟

هل نالت نادية خاتمة مأساوية أم أنها الآن في أحضان عصام وقد أسست حياة وأسرة جديدة ونسيت أمري...

حتى هذه التفاصيل لم تعد تهم فقد صرت أنا ووالدي كيانا واحدا.

حتى وإن كان مجرما فهو لم يتخلى عني.

3

نسيت أني لست البطل الرئيسي في هذه القصة...

بدأ أحمد التحضيرات للحفل يوم الجمعة وقد قضى ليلته على متن اليخت يستمع لصوت الأمواج بينما يرسم على لوحه الرقمي بقية قصته المصورة حتى غلبه النعاس، يوم السبت تم كل شي كما اتفق عليه وقد تأنق أحمد بالأسود كما أوصاه السيد جمال، ثم أخذ أحمد صرة الملح والسينوج الذي أعطته إياه أمه لإبعاد العين كما كانت تؤمن ووضعه في جيب سترته.

كان حليق الذقن وذلك يبرز غمازاته أكثر ويزيد وجهه وسامة ورغم كل الحماس الذي كان يغمره إلا أنه كان يفكر بوالدته فهو يعلم أنه ما كان عليه أن يختار الشغل بدلا عنها، لو كان بامكانه العدول عن الشغل والعودة إلى المنزل الآن لفعلها، لكنه يدرك أن هذا التصرف صبياني، ثم تذكر أنها في المرحلة الثانية من سرطان الثدي، وقال فيه نفسه :

- **لو اشتغلت أكثر لتمكنت من الإنفاق على مصاريف علاجها.**

ثم ابتسم لنفسه أمام المرآة وقد شعر بضرب من الرضا عن النفس ثم واصل تسريح شعره على طريقة جيمس دين الشهيرة، ثم قال في نفسه ثانية:

- **بعد أن أتقاضى أجري سأعوض لها أمسية هذا السبت السبت القادم، وسآخذها لمطعم فاخر بدلا من مطعم نهج لندرة.**

ثم رش بعضا من العطر الرخيص لكن رائحته لا بأس بها فهي ستدوم لبضع ساعات.

بدأ أحمد والسيد جمال باستقبال المدعوين وقد أشعت ابتسامة على وجه أحمد بينما كان يقول بانجليزية جميلة

"Welcome to the red ecstacy"

حمل المدعوون أقنعة ايطالية مزينة بالريش يضعونها على وجوههم فبادر أحمد بسؤال السيد جمال:

- لم أعلم أن الحفلة تنكرية وأن المدعوين سيلبسون أقنعة.

أشعل السيد جمال سيجارة وقال:

- إنه زي السهرة يا فتى the dress code.

استلطف أحمد الفكرة فهو لم يعلم أن الأثرياء يحتفلون بهذه الطريقة ثم واصل السيد جمال استقبال المدعوين وهو يقدم لهم أحمد بكل تواضع:

- هذا أحمد طالب في كلية الفنون الجميلة، سيكون هو نجم السهرة.

وقد ابتسم أحمد لهذا المديح المبالغ فيه فهو مجرد نادل، سيتنقل بين الطاولات لغاية انتهاء الحفل، لكنه أحس بالفخر وهو يردد

"welcome to the red ecstacy".

الناس يروحون وبجيؤون على ظهر المركب يمسكون بالأقنعة ويحتسون المشروبات بين ما يتعالى الضحك والحديث.

بعدها لم أسمع شيئا عن صديقي أحمد.

يوم...
يومين...
ثلاثة أيام...
اشتريت سيارة أخيرا من طراز BMW وسعادتي صارت لا توصف، لن أستقل سيارة اللواج كلما أردت الذهاب لبني مطير، لن يتغامز عني الركاب لأني لا اشبههم.
غريب أنا بينهم... ووحيد. ثم عدت أدندن تلك الأغنية.
الناس غرباء .
عندما تكون غريبا.
الوجوه قبيحة.
عندما تكون وحدك...
حمدا لله لم أعد وحيد لقد جاءت هيفاء أخيرا.
غالبا ما تجعلني أنتظرها لمدة تتجاوز الربع ساعة وعندما تأتي مهرولة تقول لي:
- **احترام المواعيد يسرق منا الوقت.**

غريب أمر هذه الفتاة لم تبدي أي إعجاب بالسيارة ولم تبارك لي، كل ما يشغل بالها هو صديقي أحمد.
وقد اعتدت على هذا.
- **أين ستكون وجهتنا؟**

سألتني في حيرة، فأجبتها:
- **إلى النجوم...**
- **نحن لسنا في فيلم تايتنك... ليس وقت مزاح...**

ما كان علي أن أقوم بهذا النوع من المغازلات خاصة في ظرف كهذا، هيفاء أقلقها اختفاء أحمد المفاجئ.
- **أحمد ليس له أعداء، هو أودع شخص قابلته في حياتي... قل لي أننا سنجده سليما معافى.**
- **أنا أبذل ما في وسعي، سنذهب لمركز شرطة باب سويقة لعلهم يوافونا بأخبار مبشرة.**

فمسحت هيفاء دموعها وابتسمت ببصيص من الأمل.
دخان التبغ يتعالى، المجلس المتكون من ثلاثتنا على وشك الانعقاد.
إن كنت تتصور أن ضابط الأمن سيقف من مكانه ويروح ويجيء في المكتب ملقيا بعشرات الأسئلة من نوع:
منذ متى تعرفان أحمد؟
متى رأيتماه آخر مرة؟
هل له أعداء؟
هل تشكان في شخص معين؟
ثم يدون كل تلك الملاحظات ويأخذ أرقامنا الهاتفية ويقول:

- **سنتصل بكما لو احتجناكما...**

ثم ننصرف.
بالطبع أنت مخطئ فكل هذا لم يحدث.
نظر إلينا في تأفف كأننا قد قطعنا عنه لحظة تأملية حالمة، ثم قال متظاهرا بالحزم:

- **إن كان هناك شيء جديد سوف نعلمكم... الشرطة تسهر على راحة المواطن...**

انهى تلك الكلمات ثم تثاءب.
أين أنت يا أحمد؟
قال السيد جمال أن آخر مرة رأى فيها أحمد كانت في نهاية الأسبوع عندما عمل على متن اليخت.
قال أنه قد ناوله أجره ثم ودعه على أمل أن يلقاه يوم الاربعاء، اجراء لم روتيني بسيط قام به رجال الأمن عند تفتيشهم لليخت ولم يكن له أي لزوم...
أين أنت يا أحمد؟

قررت ألا أطيل عليك سرد القصة لأنها انتهت هنا.
لا أحد يعلم ماذا حل بأحمد.

اختفى مثلما اختفت نادية.
ومثلما اختفى عصام.
حتى إن أعدت قراءة كل السطور السابقة فلن تجد خيطا يقودك لمكان أحمد.
فقلة هم الذين يعلمون ما حل به.
وأنا منهم.
فلغز القضية متعلق بتلك الليلة ويخت النشوة الحمراء.
عمل أحمد طيلة الليل دون أن يرتاح لدقيقة واحدة.
امتزج صخب الحديث بالموسيقى المتصاعدة بينما ينتقل أحمد من طاولة إلى أخرى والنساء ترمقنه بنظرة لعلها نظرات اعجاب أو إغواء...
واحدة منهن قد نادته بالوسيم .
فاحمر خجلا واكتفى بهز الرأس والابتسام.
سألته واحدة أخرى إن كان معه ولاعة لإشعال سيجارها:

- معك ولاعة أيها الأنيق؟

وكانت تلك طريقة تقليدية في بدء حديث مع شخص لا تعرفه لكن أحمد تهرب من تلك المحادثة التي لم تبدأ واعتذر وقال انه لا يدخن.

- ألن تقول لي عن اسمك؟
- أحمد...
- آه أنت إذا نجم السهرة.

ثم انفجرت بالضحك.
وقد ظن أحمد أن الخمر قد لعب برأس هذه المجنونة.
بدأ أحمد يحس باعياء طفيف فهو لم يجلس طيلة اليوم فاكتفى بالوقوف في ركن منزو في القاعة يترقب أن ينادي شخص عليه ويطلب منه أن يحظر المزيد من الثلج أو قارورة مشروب أخرى حتى تناهى إلى مسمعه صوت السيد جمال المتجه نحوه وهو يشير عليه :

- يا فتى ألست جائعا؟
- بلى...

ودون أن ينتظر السيد جمال الإجابة ناوله قطعة كعك، فأخذها أحمد متشكرا وأخذ يقضمها في شهوة وتلذذ....

- **يعيشك سي جمال.**
- **اجلس وكل على مهلك...**

ثم أحضر له مشروبا:

- **أحمد قطعة كعك كهذه تصير ألذ مع كأس كوكاكولا مثلج...**

لم يتطلب الأمر كثيرا حتى سقط أحمد مغميا على الأرض.

كل ما أحس به أحمد في ذلك الوقت هو الدوار المصاحب للصداع، وللوهلة الأولى ظن أنه يعاني من دوار البحر أو الإعياء بسبب التعب والجوع.
القاعة تدور والناس تتحرك بحركة بطيئة كأنه يشاهد فيلما بتقنية السرعة البطيئة والصوت قادم من بعيييييييد.
بعيييييييد.
"هذا أحمد طالب في كلية للفنون الجميلة، سيكون هو نجم السهرة".
ثم أدرك أنه قد فهم هذه العبارة بعد فوات الأوان.
من يتناول مزيجا من أقراص الزولبيديم تغزوه هذه الأعراض فور استفاقته.
كم أنت ضعيف يا أحمد، سبعة أقراص جعلتك تسقط أرضا كالمخمور.
لكنه لم يدرك بعد أن قطعة الكيك والمشروب الذي تناوله فيه بمنوم ما.
أظن أن رغبة شديدة في التقيؤ قد تملكته لكنه لم يفعل.
وبصعوبة بدأ يستفيق.
أحمد يفتح عينيه ببطئ...
ليسمع تلك الهتافات قادمة من بعيييد.
كانوا يرمقونه بابتسامات شريرة.
بعضهم نزع الأقنعة وبعضهم لم يفعل...
بعضهم كان يدخن، والبعض يشرب، والبعض يتناول العشاء.
نظر أحمد إلى الحاضرين ثم أصابته الصدمة مهلا هل هذا السيد اسماعيل الذي كان يجلس رفقة السيد جمال...
لكن وهل هذا الذي معهم.......
إنه بالطبع أنا.
هل خلت أني لن أحظر حفلا كهذا؟
يا لك من مغفل عزيزي القارئ.
ثم أخذ أحمد في الصراخ مشيرا علي:

- **أنت... شتعمل هنا... أنا فين... شصار...**

لكني لم اجبه.

- **أرجوك أنقذني... مالذي يحدث هنا... لماذا أنا مقيد...**

نعم لقد رآني وكم كنت متشوقا لهذه اللحظة، لحظة نزع القناع والكشف عن وجهي الحقيقي .
وجهي الشرير الذي لا يعرفه طلاب الجامعة.
انتهت المسرحية يا أحمد وأعلم أني قد أحسنت التمثيل حتى أوقعك في هذه المصيدة التي لن تفر منها.

رآني رفقة والدي اسماعيل وصديقه السيد جمال بالطبع كنا نجلس في الطاولة الأولى.
أنا واسماعيل كيان واحد...
الآن أيها السادة قد بدأت الطقوس: تحولت الإضاءة لحمراء متوهجة.
حمراء كالدم.
حمراء كالياقوت.
حمراء كقاع جحيم ملتهب.
وسكتت الموسيقي حتى تملأ صرخات أحمد اليخت كله.
كان ينظر لي بالتحديد ويصرخ مكررا:
- **علاش عملت فيا هكا؟ حسبتك كي خويا...**

ثم راح ينظر للجميع مواصلا الصراخ:
- **حمقى.... سوف تندمون... أوغاد.... ستنالون عقابكم...**

لكني كنت أرمقه بابتسامة خزي فالأحمق لا يعرف أنه مربوط لخشبة على شكل x وقد قيدت كل أوصاله باحكام برباط جلدي وسلاسل حديدية غليظة وجرد من ملابسه ماعدى سرواله الداخلي.
هل ذكركم هذا بشيء ما؟
نعم إنها اللوحة التي رسمها أحمد...
لو رأى شكله المثير للشفقة لما قال أننا سنندم، أو ربما لتذكر تلك اللوحة في غرفته التي لن ينتهي من رسمها.
لكن أحمد واصل ال9ح0صراخ.
الأحمق يصرخ ويطالب بحقه في النجاة .

الأحمق يترنح محاولا فك يديه...
ونحن نضحك.
ما الذي ستجنيه من الصراخ وأنت في وضع كهذا بالطبع لن تفك معجزة سماوية أسرك.
ما الذي سنربحه من استغاثة لن يسمعها أحد.
وقف والدي إسماعيل وقال:

- الليلة سيتولى ابني كل المراسم، لقد كبر الولد وصار رجلا قويا مثل أبيه هو في الخامسة والعشرين من عمره الليلة ستجعل والدك فخورا، الليلة ستخطو على خطاي.

ثم أشار لي بالوقوف وقد تعالى الهتاف من حولي .
كانوا يمجدونني فهم على بعد بضع دقائق على بداية العرض.
نهضت وسط الهتاف والتصفيق الحار كأني نجم هوليويدي يتوج بجائزة الأوسكار، جهزت الكاميرا التي أوصلتها بجهاز الكومبيوتر المحمول.
فتحت متصفح الtor، فتحت النافذة ثم كتبت كلمة السر
ظهرت على الشاشة خلفية حمراء توسطتها كتابة بخط خشن

"welcome to the red ecstacy"

ثم بدأ البث المباشر .
دخل أربعة على الخط من أجل المشاهدة.

<Vlad>E666
<Kingovh€ll>P918
<UncleramireZz>R1984
<Gorefather>$00099

ثم خمسة آخرون... ثم عشرة.

لقد دفع هؤلاء الكثير من المال مقابل أن يشاهدوا أحمد يتعذب وأنا لن أخيب آمالهم.

اقتربت من أحمد الذي كان معلقا دون أي حول أو قوة، الليلة ستكون ليلة مميزة بلا شك، أنها المرة الأولى التي أتلقى فيه شرفا كبيرا كهذا، الليلة سأبهر الجميع خاصة والدي، أما أحمد فقد كان يتمنى لو يلكمني في الوجه أو يبصق علي، كان يتمنى لماذا أفعل كل هذا معه، لماذا وقع اختياري عليه بالذات...

صدقوني كان اختيارا عشوائيا وكان أحمد فريسة سهلة وقعت في شباكي دون أي مقاومة أو مراوغة.

نظرت له بابتسامتي الخبيثة التي طالما أخفيتها عنه وقلت:

- هل نبدأ؟

وتهاتف الجميع أن نعم.

- نبدأ ماذا... أرجوك دعني أذهب ... أرجوك أنا صديقك... أرجوك...

كريشندو صراخه المتضرع كان يتعالى تدريجيا ويدغدغ كل نزعة عدوانية في داخلي .

وقفت امرأة شقراء من المدعوين أخبرني والدي فيما بعد أنها تعمل في السلك الديبلوماسي وقالت:

- اقتلع عينيه مقابل أربعون ألف دينار.

وهنا قلت أنا بتباهي:

- هنا لدينا أربعون ألف دينار، من سيزيد، الفائز هو من سيقترح مبلغا أعلى.

فصاح رجل من الطاولة المجاورة:

- أنا سأدفع سبعون ألفا مقابل أن تسلخ وجهه حيا...

لكن أحمد أخذ بالصراخ:

- لا... لا... لا... أرجوك لا تفعل.

نظرت لأحمد في لا مبالاة وقلت:

- هنا لدينا سبعون ألفا من سيزيد؟

وبدأت الاقتراحات والاسعار تتزايد وتزايد معها صوت صراخ أحمد وهو يسمعهم يقولون كالآتي اجعله يأكل قطعا من لحمه... اقطع أعضاءه التناسلية واجعله يأكلها...

فقلت ضاحكا:

- عظيم...

"افعلوا له كذا وكذا مقابل كذا".

أما أحمد فقد كان كالمدان في قفص الاتهام ينتظر سماع حكم الإعدام خاصته.

- ارجوك دعني أذهب... أرجوك أطلق سراحي... لن أذهب للبوليس... دعني أذهب ولن تراني مرة ثانية.

مسبقا قلت لكم أنه أحمق فقد ظل يترجاني لدقائق لكي أطلق سراحه.

بدأت المبالغ المالية تتضخم وتواصل التزايد إلى أن أرسى المزاد عند رجل كان يجلس وحده إلى طاولة آخر القاعة، وعلمت في ما بعد أنه طبيب جراح يدعى بالدكتور سالم لديه مصحة خاصة ويهوى ارتياد هكذا مزادات.

رفع يده ملوحا بشيك ابيض ثم قال:

- شيك أبيض، تعالى واكتب الرقم الذي تريده مقابل أن تفعل كل ما آمرك به.

الدكتور سالم، لم أعرف الكثير عنه، يبدو أربعينيا صلع إلا من على الجانبين، مكتنز الوجه يلبس عوينات، وثرثار...

بالذات ثرثار.

بتلك الحركة الجريئة تمكن من اسكات الجميع، ثم واصل الكلام:

- افتح بطنه بشق طولي متوسط الحجم يسمح لأحشاءه بالبروز ثم علقها واتركه حيا يتعذب حتى الموت.

وعاد أحمد للصراخ والبكاء ثانية وأخذ يترجى الرجل:

- أرجوك سيدي لا تفعل هذا... أرجوك أي شيء إلا هذا...

أحظر لي السيد جمال كل أدوات التعذيب اللازمة من تلك الغرفة الصغيرة التي كتب عليها "private". وقد التمعت عينا أحمد فور رؤيته للسكاكين والساطور والمخاطف وعاد للصراخ كالطفل، وهنا أخذت سكينا ووجهته نحو وجهه وأمرته بأن يصمت قبل أن أقطع لسانه.

فسكت خشية أن أفعل به ذلك.

لبست قناعا طبيا وذلك القفاز الأخضر الذي يحمل ذكرى خاصة في قلبي وقد وجدته صفة عندما زرت منزل المزرعة في بني مطير ملقى في الدرج باهمال رغم

مرور كل هذه السنين. ومئزرا جلديا أسودا وأخذت أنصت لأوامر الطبيب في امعان:

- **خذ تلك السكين تبدو حادة، شق بطنه بطريقة طولية، لا تجعل الشق كبيرا... لا تجعل الشق عميقا حتى لا تثقب الأمعاء فأنا أريدها سليمة**

أخذت السكين وقربتها من بطن أحمد الذي كان يهمس لي بصوت خافت:

- **ارجوك لا تفعل... أنا صديقك، أنت تعلم أن أمي مريضة وليس لديها شخص سواي....**

لكني ضحكت ثم وجهت له طعنة جعلت منها شقا ينزل أسفل بطنه حتى برزت أحشاءه تدريجيا كأنها وردة من اللحم البشري بصدد البزوغ والتفتح.

- **آآآآآه، علاش تعمل فيا هكا...**

لقد اتسعت عيناه، أصدر تأوهات متقطعة ثم صمت .

- **آآآآه.**

اكتفى بالتأوه وكف عن الصراخ، هل استسلم لأنه أيقن أنه لن ينجو أبدا؟
هل فقد القدرة عن الإحساس بالألم؟
لم يخرج دم من فمه مثل ما نرى في الأفلام بل اكتفى فقط بالتأوه ثم صمت، وللحظة ظننت أني أفسدت كل شي.
هيا يا أحمد هل ستموت بهذه السهولة، أيها الأحمق فالعرض لم يبدأ بعد.
هل ستموت الآن لتجعلني أبدو فاشلا في عيني والدي والجميع؟ هل يتموت وتجعل الدكتور سالم يعدل عن ذلك المبلغ المالي؟
لكن الدكتور سالم طمأنني:

- **لا تقلق هو لم يمت بعد، أما الآن فأريد منك أن تدخل يدك في ذلك الشق وتخرج أحشاءه حتى تسقط على الأرض... افعلها ببطئ.**

فقالت احدى النساء بصوت تملأه النشوة:

- **افعلها ببطئ يا عزيزي ... آه ببطئ.**

ثم رمت لي قبلة في الهواء.
كانت هذه المرة الأولى التي أدخل فيه يدي في بطن شخص حي، أحسست بدفء أحشاءه اللزجة وبدقات قلبه في كل عضو لمسته.

كانت هذه المرة الأولى التي أتحسس فيها أحشاء بشرية.
كان احساسا ايروتيكيا لا تصفه كلمات.
تحسست بيدي أحشاءه الدافئة الناعمة اللزجة، وقد احتدت تأوهات أحمد الذي كان يترنح.

- **لماااااااذاااا... لماااااااذاااا... آاااه .... توقف ارجوك...**

إلى أن تهاوت أحشاؤه على الأرض.
بقفازي الأخضر الذي اعتاد التلطخ بالدم تناولت أحشاؤه من على الأرض وعلقتها في المخطاف قبالته لتتدلى كأنها حبل غسيل .
أليست الصورة كاريكاتورية بعض الشيء؟ فعلت ما بوسعي حتى أكتم ضحكاتي كي لا أفسد جلالية العملية.
لكنه اكتفى بالتأوه بينما تصبب عرقا وقد احمر وجهه وتورمت كل عروقه وانتصب ذلك الوريد في عنقه.
في تلك اللحظة أجزم أن شريط حياة أحمد يعرض أمام عينيه لعله كان يشغل نفسه بكل الذكريات السعيدة التافهة التي عاشها، أو ربما كان يتذكر الأوقات السعيدة التي قضاها برفقتي، أو ربما كان يرى وجه أمه وهي تشعر بالقلق حياله وهي تبلغ عن اختفائه في مراكز الشرطة والمستشفيات...
أي شيء ينسيه في حجم الألم الذي لا يطاق أنا متأكد أنه كان يتمنى أن يصاب بصدمة عصبية حتى يفقد الوعي، أو ربما ببساطة تمنى أن ينزف حتى الموت.
بقفازي الملطخ بالدم، صببت لنفسي بعض الويسكي، ثم انحنيت لأستنشق بعض الكوكايين وقلت "ملا ليلة".
بقفازي الأخضر أشعلت لنفسي سيجارة ورحت أحادث الحسناء التي رمت لي قبلة وقالت:

- **لقد جعلت الجميع يتلذذ...ممم...**

وضحكت بفجور.
بقفازي الأخضر الذي كساه الدم أشعلت لها سيجارة وتبادلنا بعض الكلام المعسول عن ما سنفعله سويا بعد انتهاء السهرة إلى أن أشار علي الدكتور سالم المجنون أن أجلس معه الى الطاولة:

- تعال، هذا ليس الوقت المناسب للترهات...

فدنوت منه مستفسرا:

- هل سيموت؟ متى سيموت؟ هل من شيء آخر ترغب في فعله؟

كتب الطبيب شيئا في دفتر ملاحظاته ثم نظر إلى ساعته وقال:

- طالما أردت أن أدرس هذا النوع من التعذيب، لديه سبع ساعات قبل أن يموت، سبع ساعات هي المدة التي يقدر الجسم على تحملها في وضعية كهذه قبل أن يفارق الحياة، الطبيب الذي درسني في الجامعة قال إنه يمكن للمرأ أن يصمد ليومين كحد أقصى في هذه الوضعية فالأحشاء ترسل ذبذبات للجهاز العصبي حتى يفقد الإحساس بالألم ويتمكن بالنحاة ليوم أو يومين. أما أحد الأطباء الذين أعرفهم قال أن المرء لن يستطيع النجاة إن خرجت أحشاؤه وسيموت في غضون دقائق مثلما نرى في أفلام الرعب، أما أنا فقد راهنت على أنها سبع ساعات... كيف ولماذا سبع ساعات، الليلة سنعرف من منا على حق، إن كان محظوظا وأصابته الصدمة العصبية فسيغيب عن الوعي للجسم طاقة استيعاب محدودة للألم ثم سيموت بعد سبع ساعات، أما إن لم تصبه الصدمة العصبية فسيتصاعد إحساسه بالألم وهو يشعر بحدة في موضع الطعنة، وسيشعر بألم بسبب النزيف ونقص الأكسيجين وألم بسبب أحشائه المعلقة سيتعرق ويجف حلقه ويعجز عن الصراخ ثم يبدأ في فقدان الوعي تدريجيا حتى يفارق الحياة بعد سبع ساعات... علينا أن ننتظر لسبع ساعات.

- هل دفعت كل هذا المال من أجل كسب رهان؟

- أردت فقط أن أتأكد فأنا لا أخطئ أبدا، وسأثبت للجميع أني على حق.

فأخذت لنفسي موضعا بجانب هذا الطبيب المجنون "دكتور فرانكنشتاين" فالسهرة ستطول لسبع ساعات أخرى وبقيت أتأمل المشهد الذي أمامي الضوء الأحمر يصنع ظلالا على وجه أحمد المحتضر كأنها لوحة ملحمية لكارافاجيو، تنهدت ثم قلت :

- هذا هو عملي الفني.

- فنان مثل والدك...

- هل تعرف أبي منذ زمن بعيد؟
- آه عرفت اسماعيل من ثماني عشرة سنة...
- عظيم، لم أعرف أن هذه الاحتفالات كانت تقام من ثماني عشرة سنة.
- بالطبع لا، والدك كان يبيع الجثث لطلبة الطب حتى يتمكنوا من المذاكرة قبل الامتحان...
- لم أعرف هذا...
- بداية مخجلة أليس كذلك؟ كنت مجرد طالب طب عندما باعني والدك جثتين واحدة لامرأة والأخرى لرجل... لو لاه لما صرت ما أنا عليه الآن...

ابتلعت ريقي محاولا أن استوعب الأمر:

- هل تذكر أي شيء عن تلك الجثث؟؟
- بالطبع رأس المرأة كان مقطوعا وقد كسى جسدها عشرات الطعنات لم تمت بسبب الطعن، بل الذبح كان سبب الوفاة، أما الرجل فقط كان مطعونا طعنة واحدة من الخلف...طعنة واحدة كانت كفيلة بإنهاء حياته...
- هل تذكر ملامح المرأة، على الأقل أوصافها، وجهها، جسمها، أي شيء عنها...
- ماذا بك يا فتي؟ هل أنت مغرم بجماع الموتى...

ثم ضحك.

لم أبتلع ما قاله الدكتور سالم الذي رفض أن يدلي بالمزيد من المعلومات لكن حدسي لن يخطأ هذه المرة...

اسماعيل من فعلها وخدع الجميع...

نادية وجريمة منزل المزرعة... الآن صار لدي خيط أبدأ منه.

- ماذا حل بتلك الجثث؟ أقصد التي اشتريتها من والدي قبل ثمانية عشر عاما؟
- هناك ألف وسيلة للتخلص من جثة، ألم تسمع عن جيفري داهمر؟

ثم ناولني الدكتور سالم بطاقة فيها رقمه وعنوانه مؤكدا:

- أظن أننا سنصير أصدقاء، اتصل بي لو احتجت لأي شيء.

أردت أن أحصي الساعات التي قضاها أحمد على قيد الحياة قبل أن يستسلم جهازه العصبي وينطفئ عقله ويتوقف نظامه عن العمل، لكن تلك المعلومات التي نزلت علي كالصاعقة أفقدتني عقلي فالتجأت للشرب والمخدرات وتلك الحسناء الفاتنة حتى انسى و لا أفسد السهرة.
هل قاوم أم لا في ساعته الأخيرة فأنا لا أذكر،
هل صرخ مرة أخيرة؟
هل شتمني؟
هل ابتسم ابتسامة الأوغاد الذين يقادون للمصقلة أيام الثورة الفرنسية؟
هل قال وصية أم تلى صلاة؟
هل قال "أمي" ثم فارق الحياة؟
كل ما أذكره أن عقلي قد علق في مطبات ودهاليز كأني في عالم آخر.
نادية....
نادية...
جرعة من مشروب كحولي ما والمزيد من المخدرات من هناك حتى أشار لي الدكتور سالم الذي كان يدون معلومات في مذكرة صغيرة ثم قال:
- أنزله لقد مات.
ثم أغلق المذكرة وأشعل لفافة محشوة.
هل كانت سبع ساعات أم أقل، أنا حقا لا أتذكر، فمه كان مفتوحا، بؤبؤ عينيه قد زاد اتساعا، رأسه رفع للسماء كأنه يتلو صلاته الأخيرة.
كان المشهد مهيبا بحق كأنه لوحة تراجيدية من لوحات كارافاجيو.
بالفعل لقد مات أحمد ليجعل حياتي أكثر متعة.
دعك من تفاصيل أني قطعت جثته وألقيت بأشلائها في قاع البحر، فذلك خال من التشويق، صديقي العزيز أحمد قد صار وجبة لأسماك البحر الأبيض المتوسط.
لن يعثروا عليه فأنا متأكد، حتى وإن عثروا على جزء منه فسيصعب التعرف عليه إلا بعد جهد جهيد سيتحلل حتى والدته لن تتمكن من التعرف عليه.
لقد انتهى أمر أحمد.

نلت مبلغا كبيرا مقابل تلك التجربة المميزة وقد استمتعت بنشوة أن تتلذذ بالقتل والتعذيب.
نظر لي والدي اسماعيل في فخر قائلا:

- **أخيرا لقد صرت رجلا مثل أبيك.**

وأول ما فعلته هو شراء سيارة الBMW حتى أريح نفسي من عناء المواصلات.
أنا متأكد أن سيارتي الجديدة ستروق لهيفاء...
دعني أصارحك بأني كنت سأفعل ذلك حتى وإن عرض علي مبلغ أقل بكثير، فقد كنت مثل الجميع أمقت أحمد، هو الذي أحبه كل الأساتذة، هو الذي كان يحصل على الأعداد الأكثر ارتفاعا، هو الذي تنجذب له الفتيات، هو الذي يحسده الجميع رغم كونه فقيرا، هو الذي تعجب به هيفاء، وأمل ورحاب...
أما أنا فمجرد وغد غني ينفق أموال والده على المخدرات...
لن يحسدني أحد حتى إن اشتريت سيارة من آخر طراز.
من يهتم إن درست الفنون الجميلة في باريس.
فأنا مجرد طالب عادي كالبقية...

توجهت إلى المعهد صبيحة يوم الاثنين كالعادة ركنت سيارتي في المأوى الخاص بالمعهد، ألقيت التحية على أستاذة الرسم بابتسامة لطيفة، ووقفت أمام الكافيتيريا أنتظر قدوم صديقي أحمد الذي لم يأت.

انتظرت قدوم هيفاء فألقيت عليها التحية الصباحية ثم أخبرها بأمر إختفاء أحمد:

- لقد اتصلت بي والدته ليلا وقد قالت إن أحمد لم يعد، هل لديك فكرة عن مكانه؟

لم أتوقع أن تنهار هيفاء باكية وتقول:

- أعرفه منذ سنوات، هو لا يغيب بهذه الطريقة أبدا... إن شاء الله المانع خير.

لم يظهر في الفصل حتى...

وسمعت أطراف حديث بين الطلاب عن اختفاء أحمد منذ يوم الجمعة فقد بحثت عنه أمه طيلة يوم الأحد في كل مكان .

ذهبت لمنزله حتى اواسي أمه وأخاه الأصغر وأبحث معهما هنا وهناك.

احتضنت أمه الباكية وقلت والحزن يملأ صوتي:

- سأبذل قصارى جهدي من أجل العثور على أحمد... إنه بمثابة أخي، أعدك بأن أعيده لك سالما... تستحق حاجة احسبني كيف ولدك...

قرر مجموعة من الطلاب البحث عنه في المناطق الخضراء المجاورة أو في المجاري أو في أي مكان مشبوه لعلهم يجدوا أي شيء يقودهم له.

وقد أشرفت على طباعة صورته مصاحبة لكلمة مفقود ورقم هاتف بالأسفل وأمرت الطلاب بتعليقها على كل جدران ومحلات المدينة ومحطات المترو والحافلات.

تواضعت في النهاية وركبت المترو وقمت بتفريق صورته في العربات وسألت كل الراكبين عنه.

أنشأت صفحة على مواقع التواصل الاجتماعي أعلن فيها عن ختفاء صديقي أحمد حتى أسهل علينا عملية البحث.

ندم سمير على كل الإساءات التي كان يلحقها بأحمد، وتمنى أن يعود حتى يعتذر منه.

بكته هيفاء التي أيقنت أنه لن يعود بعد انقضاء ثلاثة أشهر وصارت شاحبة باهتة كلوحة خلت من الألوان.
أخبرتني بينما كانت تبكي:

- ليته يعود سأخبره بأني أحبه منذ السنة الأولى في الجامعة، ليته يعود ليعرف مدى حبي له، ليتني قمت بالخطوة الأولى منذ سنين... كم أنا حمقاء.
- لا تقلقي نحن نبذل كل ما في وسعنا ربما سنجده عما قريب...

واسيت هيفاء على رحيل صديقي أحمد وخصصت وقت فراغي في البحث معها عن أي خيط يدلنا على مكان أحمد وقد كان ذلك مملا فأنا أضيع وقتي بالفارغ.
تدريجيا تقربت من هيفاء إلى أن ارتاحت لي فقد كانت تمر بمرحلة نفسية صعبة .
بكت على كتفي في حديقة المعهد جانب تمثال المرأة التي تجلس على ركبتيها وترفع يديها نحو صدرها، وبمنديلي جففت دموعها ولسان حالي يقول باستهزاء:

- فهو لن يخلط لها الأصفر الهندي بعد الآن.

هيفاء صارت لي.
صرنا نخرج سويا فقد كانت محتاجة لشخص يواسيها، وقد كنت أصطحبها للمطاعم والسينما والمعارض الفنية وحفلات الكاروكي التافهة التي كانت تحبها أين كنا نغني مع بعض أغاني البوب المعاصرة.
اختفاء صديقي أحمد قد وطد علاقتنا.
فعلت المستحيل حتى أتقرب منها، حدثتها عن منزل المزرعة في بني مطير ودعوتها لزيارته يوما ما وقد قبلت الدعوة بسرور.
حدثتها عن باريس ومغامراتي هناك، وجمال متحف اللوفر ووعدتها بأن نزوره سويا في الصيف المقبل.
اعترفت لها بأن أحمد لا يكن لها نفس المشاعر وإن لديه ميل لابنة خالته التي تعيش في الخارج، فتأسفت قائلة:

- وأنا التي كنت أظن أنه معجب بي... يا لي من بلهاء.
- عزيزتي أنت لست بلهاء، أنت تعاملين الجميع بلطف وتساو...

ثم احتظنتها.

تحدثنا عن كتابات شارل بودلير في الفن، ابتعت لها الهدايا وأخذتها لأرقى الأماكن.

قلت لها أني أحبها وإني أرغب في الزواج منها فور تخرجنا، وقد وافقت دون اعتراض، أظن أنها قد وافقت قصد أن تنسى أحمد الذي اختفى وفطر قلبها.

وصرنا نحلم سويا، نبني مستقبلنا سويا نتحدث عن طموحاتنا بعد التخرج ومراسم الخطبة والزواج وكل تلك الأشياء المملة.

إلى أن جاء اليوم الموعود.

كنا نتمشى في ميناء سيدي بوسعيد بينما كانت تلوك قطعة من اللادن تمضغها تارة وتنفخها تارة اخرى ثم أسمع صوت "craaaaack " لقد انفجر بالون اللادن وهي تضحك كالأطفال.

وقفت وقلت لها:

- **صديق والدي سيقيم احتفالا على متن اليخت الخاص به بسبب فوزه في صفقة عمل صعبة...**

ولم أنهي جملتي فإذ بها تقول بغباء تام:

- **واو مش نرمال، يزينا مالكساد خلي نبدلو الجو.**

فابتسمت دون أن اكمل كلامي.

- **لم أحضر حفلة على متن يخت من قبل.**
- **هذه فرصتك إذن.**

فابتسمت لها تعبيرا عن فرحي بقبولها الدعوة، فلم أتوقع أن تكوني ساذجة لهذا الحد.

ثم سألتني:

- **وهل هذا اليخت في هذا الميناء؟**
- **أجل...**
- **ما اسمه؟**

إحتضنتها وأشرت بيدي إلى هناك، وبابتسامة خبيثة قلت:

- **اسمه النشوة الحمراء... وستكونين أنت نجمة السهرة يا عزيزتي.**

ماذا سيحدث بعدها؟
ماذاعن نادية؟
وماذا سأفعل مع اسماعيل؟
كل هذه الأمور هي خارج نطاق إدراكنا في قصة النشوة الحمراء.

النهاية.

النشوة الحمراء
رواية
شجار المسافرين على من أوقف سيارة الأجرة أولا، ثم تسمع سائق سيارة الأجرة يرميهم بشتيمة ثم حركة بذيئة باصبعه ثم يواصل رحلته تاركا اياهم غارقين في سباب اعجز عن قوله هنا لضوابط أخلاقية بينما يصرخ سائق أجرة آخر:
"ماكش في ثنيتي".
لهجات مختلفة، وجوه مختلفة، أهداف مختلفة، أحلام مختلفة...
طلبة، عمال، أفارقة، سياح، زوار من ولايات أخرى، نصابون، نشالون محترفون... كل هؤلاء اجتمعوا في مكان واحد.
جواهر البيولي
صدر لها:
*المازوخ: الطائفة (رواية)
*قصر اللورد فيليب غاردنر (رواية)
*كانيبال (رواية)
*النشوة الحمراء (رواية)